سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٤)

موحدون لا قبوريون

الجزء الأول

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٧هـ - نوفمبر ٢٠٠٦م

عنوان الكتاب	موحدون لا قبوريون
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب- السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٠٠٦/١٨٦٠٤م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٣-٥

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الافتتاحية

خطر الوهابية على الأمة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، ســيد الأولين والآخرين، وعلـــى آلـــه الطيبـــين الطـــاهرين، وصحابته الهادين المهديين..

أما بعد:

إن أكبر أعداء الإسلام هم اليهود والمشركون، وقد بيَّن ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّـــاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢)، وما أن أطل القرن الحادى عشر حتـــى كانـــت طلائـــع الجيوش الصليبية تدق الأبواب الداخلية فى دار الإســـلام، بعد أن دب الضعف والتفكك فى جسم الدولـــة، وفرقتهـــا حروب الإخوة. واستمرت الإمارات الصليبية فى القـــسم الغربى من بلاد الشام قرنين من الزمان، وأخيراً رحلـــت

جيوش الصليب إلى بلادها مهزومــة عــسكرياً، دون أن تشكل تلك الهزائم خاتمة المطاف.

لقد أدرك قادة الصليبية وزعماؤها أن هناك محرضــاً لدى الإنسان المسلم يتحرك عندما تتعرض أرضه لغــزو من جانب الكفار، فيدفع به إلى الجهاد حتى الــشهادة، لا سيما إذا ما توفرت له القيادة ولو فى الجانب العــسكرى فقط، وهذا المحرض هو بكل بساطة الــدين الإســلامى نفسه.

ومن هنا وجه هؤلاء الأعــداء جهــدهم إلــى ذلــك المحرض بهدف القضاء عليه، ولما كانت التجربة أثبتــت أن هذا القضاء لا يمكن أن يتم بــالقوة العــسكرية مــن الخارج، صبُّوا محاولاتهم على الداخل.

ولكن كيف ؟!!..

لقد ساروا فى تحقيق هدفهم بشكلين مختلفين:

الأول : بتظاهر مجموعة غير مسلمة باعتناق الإسلام، ويمدونهم بالمال، حتى يصلوا إلى أعلى المناصب، كمــا

حصل فى مناطق تركيا الأوربية على أيدى يهود الدونمة الذين كان منهم مصطفى كمال أتاتورك.

الثانى : تبنى فرق ذات أصول إسلامية، واســتخدامها من أجل ضرب الإسلام.

وقد ترافق كل ذلك مع عملية استعمار ثقــافى تمثلــت بنسف الفكر السياسى الإسلامى نفسه، بعــد أن عجــزت حركات التنصير والحكومات التى تقف وراءها عن نسف الدين الحنيف جملة وتفصيلا.

وهكذا أدخل فى روع الأجيال الإسلامية التى انفتحــت على الغرب أن الإسلام دين عبادة فقط، وهو لا يــستطيع أن يقدم الحل للمشاكل السياسية والاجتماعية القائمة فــى هذا العصر، ومن هنا كانت ضرورة الالتزام بالعلمانيــة لفصل الدين الإسلامى عن الدولة.

وقد أدى كل ذلك إلى تسرب الثقافــة ذات الأصــول اليهودية والنصرانية إلى البيئة الإسلامية، ولما وصــلتنا هذه الأفكار والعقائد الجديدة من الغرب، وجدناها تحمــل

بذور الثورة على الفكر التقليدى، ويقصد بـه الإسـلام.. واعتبر الجهلاء أن هذه الأفكـار والعقائـد هـى الحـل لأزمتنا، فوصلنا إلى هذه الحالة مـن الخـواء الفكـرى، والخور على صعيد الاستعداد للذود عن الوطن، فكانـت بلادنا فريسة سهلة للأعداء.

تلك كانت الخطوط العريضة للمخطـط العـام الـذى استهدف بلاد الإسلام، ولكن هذا المخطط تميز بالمرونة، وبمسايرة الأوضاع المتباينـة والمتحركـة فـى البلـدان الإسلامية، كما يلى:

– فى البلاد القريبة من الخلافة جرى الاندساس فـى الإسلام.

– أما فى المناطق المفتوحة علـى الغـرب كالبلـدان الساحلية، أو التى تـسمح طبيعتهـا الجغرافيـة بحريـة الحركة، فإن الاستعمار الثقافى والاقتـصادى كـان هـو الأسرع إليها.

– وأما المناطق المغلقة، فإن المخطط قضى بالارتكاز

على الإسلام نفسه، حيث تمت دراسـته بغـرض إعـادة إنتاجه بطريقة تحقق أغراض الغـرب، لـذلك فقـد رأت وزارة المستعمرات البريطانية أن يقوم رجلهـا **(مـستر همفر)** بتنفيذ مخططها بخلق مذهب إسلامى، ودولة فـى منطقة من شرقى صحراء نجد، عن طريـق الاسـتعانة بالأسر اليهودية التى زرعت فى منطقة الجزيرة العربية.. ذاك المذهب كان مذهب محمد بن عبد الوهـاب، وتلـك الدولة كانت دولة آل سعود.

والسؤال الملح هو.. كيف تم ذلك؟!.

الجواب: يظهر من دراستنا لنشأة محمـد بـن عبد الوهاب والوهابية، كما ذكرها كتاب **(تاريخ نجـد)** لابـن الألوسى، وكتاب **(تاريخ نجد)** لهارى سنت جون فيلبيـى المسمى عبد الله فيلبيى، وكتاب **(الشيخ محمد ابـن عبـد الوهاب عقيدته ودعوته)** لأحمد أبو حجر آل أبو طامى، وكتاب **(الدرر السنية فى الرد على الوهابية)** لأحمد بـن زينى دحلان مفتى مكة.

فقد ولد ابن عبد الوهاب عام ١١١٥ هـ — ١٧٠٣ م، بمدينة تسمى العيينة من بلاد نجد، التى تبعد عن الرياض ٤٠ كيلومتراً من الناحية الشمالية الغربية، قرأ الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان أبوه قاضياً بها، وأميرها يوم ذلك عبد الله بن معمر، وقد سافر ابن عبد الوهاب إلى مكة، ثم سافر إلى المدينة وأظهر الإنكار على زيارة النبى ﷺ، والتوسل به وبالصالحين من أمته، ثم رحل إلى نجد، ثم أتى البصرة من بعد الشام، فلما ورد البصرة وأظهر آراءه لأهلها أنكروا عليه وردوه، وبعد مدة جاء إلى بلدة حريملة من نجد، وكان أبوه فى تلك البلدة ينكر عليه ويزجره وينهاه– وقد يكون ذلك كعادة اليهود فى تقسيم الأدوار– ومات أبوه سنة ١١٤٣ هـ – ١٧٣١م، فأظهر ابن عبد الوهاب عقائده والإنكار على المسلمين، فضج أهل حريملة منه وهمّوا بقتله.. فخرج ابن عبد الوهاب قاصداً العيينة– مسقط رأسه ودار نشأته– وأميرها يوم ذاك عثمان بن أحمد بن معمر، وقد تعاهد هو وأميرها أن

يشد أزر كل منهما الآخر، فترك ابن معمر لابن عبد الوهاب الحرية فى إظهار فكره، والعمل على نشره، لقاء أن يقوم ابن عبد الوهاب بشتى الوسائل لسيطرة ابن معمر على نجد بكاملها، وكانت يوم ذاك موزعة إلى سبع إمارات، منها إمارة العيينة، ولكى تقوم الروابط زوَّجَ ابن معمر أخته (جوهرة) من ابن عبد الوهاب، فقال له الأخير: (إنى آمل أن يهبك الله نجد وعربانها).

وهكذا يؤمن ابن عبد الوهاب بأن الله يهب الأحرار، وما يملكون لمن يناصره فى دعوته، ويجعلهم عبيداً له من دون الله، هذا وهو يدعو إلى التوحيد الخالص من براثن الشرك!!.

لقد سخَّر ابن عبد الوهاب الدين لرجل الدنيا، وتطوع لتعزيز حكم دون أن يكون على يقين من عدله، أو يأخذ منه موقفاً لتحسين الأوضاع الاقتصادية وراحة الناس، والعمل للصالح العام، بل على العكس، فقد وعده بملك نجد وعربانها، لا بالاقتراع وحرية تقرير المصير، بل

بالحروب والغزو وأشلاء الضحايا، ومع ذلك فهو صاحب دعوة التوحيد ورسالة الإنسانية!!.

ومهما يكن فإن التحالف بين الاثنين لم يطل عمره ولم يتم أمره، وما تمخض إلا عن زواج ابن عبد الوهاب بجوهرة، وهدم روضة زيد بن الخطاب ﷺ، وبلغ الخبر صاحب الأحساء والقطيف سليمان بن محمد بن عزيز، فأرسل كتاباً إلى عثمان يأمره بقتل حليفه ابن عبد الوهاب، فلما ورد الكتاب أرسل عثمان إلى ابن عبد الوهاب وأمره بالخروج من البلدة، وطلب منه أن يختار المكان الذى يريد الذهاب إليه.

وهنا كانت عيون وزارة المستعمرات البريطانية تراقب عن كثب رجلها ابن عبد الوهاب، فالمخطط جاهز، ولم يبق إلا التنفيذ، والصداقة حميمة بين مستر همفر وابن عبد الوهاب، لذلك قدم همفر لابن عبد الوهاب خطة من ستة بنود لينفذها.. وأرجو أن لا تنزعج أيها القارئ الكريم، لأنها الحقيقة المُرَّة:

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

البند الأول : تكفير المسلمين، وإباحة قتلهم، وسلب أموالهم، وهتك أعراضهم، وبيعهم فى سوق النخاسة، وحِلِّيَّة جعلهم عبيداً ونساءهم جوارى.

البند الثانى : هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن، ومنع الناس عن الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

البند الثالث : السعى لخلع الخليفة، والإغراء لمحاربته وتجهيز جيوش لذلك، ومن اللازم أيضاً محاربة أشراف الحجاز من آل بيت النبى ﷺ وآله، بكل الوسائل الممكنة، والتقليل من نفوذهم.

البند الرابع : هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين فى مكة والمدينة، وسائر البلاد التى يمكن ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبى محمد – ﷺ – وخلفائه، ورجال الإسلام بما يتيسر.

البند الخامس : نشر الفوضى والإرهاب فى البلاد

حسب ما يمكنه ذلك.

البند السادس : نشر قرآن فيه التعديل الذى ثبت فى الأحاديث من زيادة ونقيصة.

أتدرون ماذا كان رد ابن عبد الوهاب على هذه الخطة؟

لقد وعد بتنفيذ كل الخطة السداسية، إلا أنه قال: إنه لا يتمكن فى الحال الحاضر إلا على الإجهار ببعضها، وهكذا كان، وقد استبعد ابن عبد الوهاب أن يقدر على هدم الكعبة عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح عند الناس بأنها وثنية، وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد، وكان أشد خوفه من السلطة فى مكة، وفى الآستانة عاصمة الخلافة الإسلامية، وكان يقول: إذا أظهرنا هذين الأمرين لابد وأن يجهز إلينا جيوش لا قبل لنا بها، وقبلت منه وزارة المستعمرات العذر، لأن الأجواء لم تكن مهيأة.

وهكذا تحددت معالم المذهب الإسلامى الجديد، وفى نفس الوقت كانت الدولة قد تجهزت على يد أسرة آل

سعود التى يقول عنها الدكتور ناصر السعيد فى كتاب **(تاريخ آل سعود)** أنها أسرة يهودية.

وهنا كان لابد من الالتقاء بين المذهب والدولة، ليستولوا على قلوب الناس وأجسادهم، فإن التاريخ قد أثبت أن الحكومات الدينية أكثر دواماً، وأشد نفوذاً، وأرهب جانباً.

واتخذت الدرعية عاصمة للحكم والدين الجديد، وكانت وزارة المستعمرات البريطانية تزود الحكومة الجديدة سراً بالمال الكافى، كما اشترت الحكومة الجديدة فى الظاهر عدداً من العبيد من يهود الفلاشا بأثيوبيا، كانوا من خيرة ضباط الوزارة الذين دربوا على اللغة العربية والحروب الصحراوية.

لقد قامت هذه الدولة على أسس ثلاثة هى:

١) كراهية الآخر.. ٢) تكفيره..

٣) استحلال دمه وماله وعرضه..

- **أما كراهية الآخر:** ليس فقط من أهل الشرائع

الأخرى، ولكن المختلف بالتدين داخل المسلمين، أى: ممن سماهم ابن عبد الوهاب المشركين، داخل الجزيرة العربية وخارجها، من الصوفية والشيعة.. وطبق أتباعه هذه الكراهية بدقة إذ كانوا لا يسلمون على الآخرين، ولا يردون عليهم السلام.

– **وأما تكفير الآخر:** فقد حكم ابن عبد الوهاب بكفر الشيعة كلها، واعتبر بلادهم بلاد حرب، وقال كما جاء فى رسالته كشف الشبهات: (وإن كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين).

– **وأما استحلال دم الآخر وماله وعرضه:** فيرتبط بالتكفير فى فكر ابن عبد الوهاب، ويفسر غزوات النبى ﷺ بأنها كانت للإكراه فى الدين، وإجبار المشركين على

الدخول فى الإسلام، خلافاً لحقائق الإسلام.

كتب ابن عبد الوهاب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته، وتدخل فى طاعته، وكان يأخذ ممن يطيعه عُشْر المواشى والنقود والعَرُوض، وممن أبى غزاه بأنصاره وقتل الأنفس، ونهب الأموال، وسبى الذرارى، فليس أمام أى مسلم إلا الوهابية أو القتل، فترمل نساؤه، وتيتم أولاده.

ومن المعلوم أن ابن عبد الوهاب لم يفتح بلداً غير مسلم من الشرق أو الغرب، وإنما كان يغزو ويحارب المسلمين الذين لم يدخلوا فى طاعته ودعوته.. تنفيذاً لخطة وزارة المستعمرات البريطانية.

جاء فى جريدة (الصفا) بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٢٤ م: (والوهابية يستبيحون دم المسلمين، فقد دخلوا إلى شرق الأردن فذبحوا النساء والأطفال حتى بلغ عدد القتلى ٢٧٥٠ من المسلمين) وكانوا يغنون عند قتل النساء والأطفال ويقولون:

هبت هبوت الجنة   رايح وين يا باغيها

كيف هذا؟!

والرسول ﷺ يقول فيما رواه النسائى: (والذى نفسى بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا).

ولكن لا عجب فزعيم العصابة– مؤسس الوهابية– لا يرى مسلماً على وجه الأرض غير جماعته، وكل من خالفه يرسل إليه من يغتاله فى فراشه، لأنه يقول بتكفير المسلمين ويستحل دماءهم.

هذه الأفعال تجعل أى مسلم يتهمهم بتهم ثلاث:

أولاً الكفر : لقوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) أخرجه البخارى ومسلم.

ثانياً الزنا : لأن من يستحل المرأة الحرة المسلمة ويأخذها سبية ويتمتع بها فهو زان.

ثالثاً السرقة : لأن من يستحل مال المسلمين فهو لص سارق.

فبالله عليكم، من يقتل المسلم ويزنى ويسرق يصح أن

يُلقَّب بإمام التوحيد؟!!.. لا والله، إنه من الأئمة الذين يدعون إلى النار، وبعد:

فعلينا أن نفهم ونميز بين أهل الدين حقاً، وبين الذين ينتحلونه لمآرب أخرى.. علينا ألا نتهم أحداً، ولا نثق بأحد إلا بعد أن نتعرف على سيرته من أوثق المصادر وأصحها، علينا أن نقف موقف الشك والريبة من كل فكر ورأى، ومن كل من يصفه الناس بالإمام المصلح، أو المفسد المضلل حتى يظهر الحق جلياً، ولن يظهر إلا بالبحث والتمحيص، ومن درس حياة محمد بن عبد الوهاب يرى أول ما يرى أنه يفرض آراءه بالقوة، ولكن على المسلمين خاصة دون غيرهم.. وكل الناس يعلمون أن آية عقيدة أو رأى، يحاول صاحبه أن يفرضه بالقوة فإنه يحكم على نفسه بنفسه بالفساد والبطلان.

مات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ — ١٧٩١م، وسار أبناؤه على سيرته يناصرون أبناء سعود ويناصرهم أبناء سعود، ويسندون إليهم نفس المناصب التى كان ابن

سعود يسندها لأبيهم وزيادة، بحكم تطور الزمن.

الوهابية يهود الأمة:

لعل البعض يستغرب كيف يوصفون باليهود؟..

ولكن إذا بينا أدلة الاتهام ينتهى العجب، فهم:

أولاً: هدموا البيت الذى ولد فيه رسـول الله وحولـوه إلى مكتبة، وهدموا بيت السيدة خديجـة وأدخلـوه فـى دورات مياه المسجد الحرام، وهدموا دار الأرقم، وهدموا مقبرة المعلا بما فيها من قبة السيدة خديجة وبعض أجداد النبى ﷺ، وفى المدينة المنورة هدموا قبـاب الـصحابة وأهل البيت فى البقيع وكثير من الصالحين قدر بأكثر من عشرة آلاف، وهدموا بيت السيدة فاطمة الزهراء، وسقيفة بنى ساعدة، والعريش التاريخى ببدر، وهـدموا مـسجد ثنيات الوداع، ومسجد المنارتين، ومسجد المائدة، ومسجد الحمزة، ومسجد الإجابة، ومسجد سلمان، ومسجد الشمس، ومسجد جواثا، ومسجد العباس بن على، وطمسوا معـالم مسجد القبلتين، ويزيلون جبل الرماة بأُحد، وغيرها الكثير

من التراث الإسلامى العظيم.

فى حين أنهم يحتفظون بحصن كعب بـن الأشـرف اليهودى بالمدينة، ويحافظون عليه من كـل سـوء، بـل ويحذرون من يحاول هدمـه بالعقـاب الـصارم، حيـث وضعت لوحة إلى جانبه كتب عليها: (تحذير منطقة آثار: يحظر التعدى عليها تحت طائلة العقوبات الواردة بنظـام الآثار بالمرسوم الملكى رقـم ٢٦ بتـاريخ ١٣٩٢/٦/١٢ هـ).. وكأنهم ينتظرون عودة اليهود إلى المدينة، ليحتجوا بتراثهم فيها، فى حين لا يبقى للإسلام آثار ولا تراث فى هذه البلاد.

ثانياً : ذكر ناصر السعيد فى كتابه (تاريخ آل سـعود) أنه قبل وعد بلفور كتب الملك عبد العزيز اعترافاً بجعـل فلسطين وطناً لليهود يقول فيه: (أنا السلطان عبد العزيـز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، أقر وأعترف ألف مـرة للسير برسى كوكس مندوب بريطانيا العظمـى، لا مـانع عندى من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما

ترى بريطانيا، التى لا أخرج عن رأيها حتى تصيح- تقوم- الساعة).

ثالثاً : قال محمد على سعيد فى كتابه (بريطانيا وابن سعود) : وعشية إصدار قرار تقسيم أرض فلسطين فى ١٩٤٧/١١/٢٩م وتأسيس دولة صهيونية على أرض فلسطين، أرسلت الوفود العربية برقية إلى ابن سعود يلحون عليه بإصدار تصريح يهدد فيه بقطع البترول إذا صوتت أمريكا على قرار التقسيم، فما كان منه إلا أن قال معاكساً: (إن المصالح الأمريكية فى السعودية محمية، وإن الأمريكيين هم أهل ذمة، وإن حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه فى القرآن الكريم).. والمعنى الواضح أن حماية أهل فلسطين المسلمين ليس منصوصاً عليه فى القرآن الكريم لأنهم ليسوا من أهل الذمة!!.

رابعاً : ذكرت مجلة (منار الهدى) فى عددها الصادر فى ذى القعدة ١٤١٥ هـ فتوى لابن باز- مفتى

السعودية السابق- يدعى فيها جواز الصلح الدائم بلا قيد ولا شرط مع اليهود، مما جعل شيمون بيريز رئيس الوزراء الصهيونى الأسبق يعلن تأييده للفتوى، داعياً الناس إلى أن يحذو حذوه.

خامساً : أصدر ابن باز فتوى تجيز الاستعانة بالأمريكان وذيولهم لمحاربة المسلمين فى العراق فى حرب الخليج الثانية ١٩٩١م، بل ويعتبر ذلك واجباً.. وحتى الآن فإن هذه القوات مازالت موجودة تعيث فساداً بجوار المقدسات الإسلامية، فقد نشرت مجلة (الكفاح العربى) بتاريخ ١٩٩٦/٨/١٩م مقالاً قالت فيه: (دعارة وشذوذ ومخدرات فى القوات السعودية والأمريكية).. هذه القوات كانت تخرج من قواعدها لتضرب المسلمين فى العراق عام ١٩٩١ - ١٩٩٨ - ٢٠٠٣م، وتضرب المسلمين أيضاً فى أفغانستان عام ٢٠٠٢م، حتى احتلتها بحجة القضاء على عميلهم أسامة بن لادن الوهابى، الذى صنعوه لقتل المسلمين فى أفغانستان والسودان وغيرهما.

سادساً: كانت الطامة الكبرى فى الفتوى التى أصدرها ابن باز ونشرت فى صحيفة (المسلمون) السعودية يوم ١٩٩٧/٣/٧م، حيث ورد سؤال يقول: (البعض يضع ماله فى البنوك الربوية ويأخذ فائدة على هذا المال، فهل يجوز أخذ هذه الفائدة وصرفها للأعمال الخيرية، لأنه لو لم يأخذها فسوف تذهب لليهود والنصارى ويستفيدون منها فى محاربة الإسلام؟)..

فماذا كانت الإجابة ؟!!.

قال الشيخ الوهابى بالحرف الواحد: (ليس له أن يأخذ الربا مطلقاً، ولو قال إنه سيتصدق بها، ليس له أن يتعامل بالربا.. نفس مباشرة العمل بالربا منكر، وإذا ذهبت إلى اليهود والنصارى فالإثم على من فعله، وليس عليه هو).

ونلاحظ على هذه الفتوى: أنه لم يعترض على وضع الأموال فى بنوك اليهود والنصارى، وحرم على فقراء المسلمين الاستفادة من الفائدة، وأحلَّ لليهود والنصارى أخذ الفائدة، ووافق على محاربة اليهود والنصارى

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

للمسلمين، بفوائد أموال أغنياء المسلمين.

سابعاً : نشرت مجلة (الحرس الوطنى) السعودية عدد أكتوبر ١٩٩٣م ما يلى: (أفتى ناصر الألبانى – الوهابى – بوجوب هجرة أهل فلسطين المقيمين فى الأراضى المحتلة وترك ديارهم ووطنهم لليهود! وحجته فى ذلك أن أهل فلسطين يتعرضون للأذى فى دينهم وأعراضهم وأموالهم على يد إسرائيل، وأن الرسول هاجر من مكة وتركها للكفار).

ثامناً : فى شهر مايو ٢٠٠١م أفتى عبد العزيز آل الشيخ مفتى السعودية الحالى بأن العمليات الاستشهادية التى يقوم بها الفلسطينيون– السُّنَّة– نوعاً من قتل النفس، وليس الاستشهاد.

وهذه الفتوى وسابقتها لا تحتاجان إلى تعليق لوضوح العداء للإسلام والمسلمين فيهما خدمة لإخوانهم الصهاينة، وحرصاً على حياتهم وراحتهم.

تاسعاً : بعد الاحتلال الأمريكى للعراق العام ٢٠٠٣م

سارعت الوهابية بإصدار فتاوى تحرم الهجوم على غير المسلمين، ورفض الجهاد فى العراق، بل ومنعت الدعاء على النصارى واليهود على المنابر فى صلاة الجمعة، مع السخاء الشديد فى نشر فتاوى تكفير الشيعة حتى تحدث حرب أهلية فى العراق وينعم المحتل الأمريكى، كل هذه الفتاوى نشرت فى مجلة الوعى الإسلامى عدد محرم ١٤٢٤ هـ، وصحيفة الوطن السعودية فى مارس ٢٠٠٣م.

عاشراً: مما سبق تبين أن الوهابية يهود بأسماء إسلامية.. وهذه حقيقة يجب أن تكون واضحة أمام الأمة جمعاء، فلا يوجد أمراء ولا شيوخ تمتدحهم الصحافة الصهيونية أكثر من أمراء وشيوخ الوهابية، وتصفهم بالمعتدلين، لأنهم يفتون دائماً لمصلحة اليهود، فإذا قاوم السنى الفلسطينى اليهود ونال الشهادة فهو منتحر، طبقاً لفتوى عبد العزيز آل الشيخ –مفتى السعودية– السابقة.

وإذا قاوم الشيعى اللبنانى اليهود فهو كافر، طبقاً لما

قدمته قناة MBC– السعودية التمويل– فى برنامج تلفزيونى تحت عنوان (الإفتاء) وذلك ظهر يوم الخميس ٢٠/٧/٢٠٠٦م فى تمام الساعة الواحدة على الهواء مباشرة، واستضاف البرنامج الشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان، والذى انبرى وشن هجوماً عنيفاً ضد أبطال حزب الله، وحملهم مسؤولية الاعتداء الصهيونى على لبنان.

إن أمة هؤلاء الجهلاء شيوخها ومثل هؤلاء الخونة حكامها لا يمكن أن تقوم لها قائمة بل ربما تقوم قيامتها، هل الجهاد والدفاع عن الأرض والأهل والنفس تهلكة– كما وصفها الشيخ الوهابى– ومتى يحل الجهاد إذا كان قتال أعداء الله الصهاينة ليس جهاداً وإنما هو تهلكة؟!!.

وفى يوم الخميس ٢٧/٧/٢٠٠٦م أفتى الشيخ عبد الله بن جبرين بعدم جواز نصرة حزب الله، أو حتى الدعاء له بالنصر، لأنهم شيعة، أى: كفار حسب الدين الوهابى.

وكالعادة ردد مرتزقتهم فى مصر– جماعة أنصار

السنة المحمدية– أقوالهم فى مجلة التوحيد العدد (٤١٥) السنة (٣٥) الصادر فى رجب ١٤٢٧هـ– أغسطس ٢٠٠٦م، حيث قال جمال المراكبى الرئيس العام للجماعة فى الافتتاحية: (هل صار حزب الله ممثل الروافض فى لبنان هو رمز المقاومة والدفاع عن الأمة، وهل صارت القاعدة– الوهابية– أمل الأمة فى التصدى لهذا الواقع المرير؟ هيهات هيهات، فهل يأتى الشر بالخير، وهل يجلب الخوارج والروافض خيراً لهذه الأمة وهم فى الأصل من أعظم نكبتها على مدى تاريخها كله؟).

وفى صفحة ٤٦ من نفس العدد أكمل معاوية هيكل حلقة الهجوم على الشيعة فى مقال (موقف الشيعة من القرآن).

هذه هى بعض الفتاوى التى صدرت عن الوهابية وذيولها وآل سعود لمصلحة الصهيونية والصليبية ضد الأمة الإسلامية.. فهل زالت الغشاوة عن أعين المخدوعين؟ أم يحتاجون إلى المزيد؟!!..

وإلى المزيد:

(١) ظهر أيمن الظواهرى الوهابى على شاشة قناة الجزيرة يوم الخميس ٢٠٠٦/٧/٢٧م ليخدم المصالح الأمريكية الصهيونية، معلناً تأييده لحزب الله– مع أن الحزب كافر فى دينه الوهابى– ولكن المقصود هو تشويه الجهاد الحقيقى لحزب الله وزعيمه سماحة السيد حسن نصر الله، ومنح إسرائيل وأمريكا الفرصة باعتبار الحرب ضد لبنان وحزب الله حرباً ضد الإرهاب، ولمَّا لم يصدق الناس ذلك، ظهر الظواهرى مرة أخرى على قناة الجزيرة يوم السبت ٢٠٠٦/٨/٥م فى شريط جديد يزعم أن أعضاء من الجماعة الإسلامية فى مصر انضموا لتنظيم القاعدة بقيادة الوهابى أسامة بن لادن، وذلك تمهيداً لإعلان الحرب على مصر بحجة محاربة تنظيم القاعدة فى مصر!!.

(٢) لتقسيم أدوار الوهابية فى مصر قام الإخوان المسلمون بتأييد حزب الله، بقصد إحراج الحكومة

المصرية وكسب نقطة تقربهم من الكرسى، والتمكن من جمع تبرعات لحزب الله وإيداعها فى حسابات الجماعة بالخارج، ولا مانع- عند انتصار حزب الله- أن يقال إن للجماعة فرع شيعى، وأن (حسن) نصر الله، سمَّاه والده على اسم (حسن) البنا!!.

إذن.. المؤامرة واضحة، وإذا صمتنا وتركنا المقاومة وحدها فستنهار المقاومة فى نهاية الأمر، وسيكون من الصعب تعويضها، وسيصبح الطريق ممهداً أمام سوريا، وإذا سقطت سوريا فالعدو سيتوجه إلى الأردن ومصر، ليحقق حلم (أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات)، وبعدها على الفور سيبدأ مخطط التقسيم الكبير، وما نشرته مجلة القوات المسلحة الأمريكية مؤخراً عن خطة لتقسيم الشرق الأوسط هو كلام جد لا هزل فيه.

المخطط الوهابى الخبيث:

لذلك فخطورة الوهابية تكمن فى ثلاثة أمور:

١) تمزيق الأمة الإسلامية..

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

٢) شغلها بقضايا فرعية..

٣) المساعدة على تنصير المسلمين.

أولاً .. تمزيق الأمة الإسلامية :

بالرغم من أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يبينان بوضوح فضائل وخصائص الأمة الإسلامية المتعددة، والتى تقطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه أن يفكر مجرد التفكير فى أن يتهم أحد أفرادها بالكفر أو الشرك، أو الزندقة أو المروق، ويدعى لنفسه أن الإسلام ينحصر فيما يراه ويفهمه هو.. إلا أن الوهابية جعلوا لفكرهم أصلاً معلناً وآخر خفياً.. **أما المعلن** فهو: إخلاص التوحيد لله، ومحاربة الشرك والأوثان، لكن ليس لهذا الأصل ما يصدقه من واقع الحركة الوهابية.. **وأما الخفى** فهو: تمزيق المسلمين، وإثارة الفتن والحروب فيما بينهم، خدمة للمستعمر الغربى.. وهذا هو المحور الذى دارت حوله جهود الوهابية منذ نشأتها وحتى اليوم.. فهو الأصل الحقيقى الذى سخر له الأصل المعلن من أجل إغواء

البسطاء وعوام الناس.

ثانياً .. شغل الأمة بقضايا فرعية :

إن الله تعالى جعل قواعد الإسلام خمسة، يعرفها كل أهل لا إله إلا الله، أما الوهابية فقد جعلوا قواعد أخرى للإسلام الجديد الذى اخترعوه.. كما يلى:

أ) **بالنسبة للرجال :** ثوب قصير لافت للنظر، طاقية مخرمة مزينة بالصلبان، نعل من جلد مستهلك له شراكان، سواك فى الفم، زجاجة عطر، ومرآة، ومشط، وعمامة جليلة، وعصا غليظة، وكتاب رافض للجمهور المسلم، بشرط الغلظة والفظاظة والعبوس والجهامة والغطرسة والكبر على خلق الله، واتهامهم بالكفر والشرك والبدعة، مع الزراية بأهل البيت وأولياء الله الصالحين.

ب) **بالنسبة للنساء :** نقاب أسود سميك شاذ، يغطى الوجه وإحدى العينين مع الكفين اللذين أحل الله كشفهما، وتحريم اتصال المرأة بالمجتمع، وألا تتكلم أو تبتسم إلا فى حجرة مغلقة، وألا يكون لها رأى، وألا تخرج من

بيتها إلا مرتان: لزوجها، ولقبرها.

ج) **بالنسبة للرجال والنساء :** اعتقاد أن كل من ليس منهم فهو كافر، ومن لم يكفر من كفروه فهو كافر، مهما أتى من الطاعات، وبلاد المسلمين ديار حرب، ولا يتعاملون بأوراق أو قوانين الحكومات فى البلاد الإسلامية، وكلهم حلال دمهم وعرضهم ومالهم، والولاء القلبى الحقيقى لبلد الوهابية وليس لأوطانهم.

ثالثاً .. المساعدة على تنصير المسلمين :

إن اتهام الوهابية للصوفية والشيعة بالكفر، واتهام زوَّار الأولياء والصالحين بالشرك، واتهامهم للمحتفلين بمولد النبى ﷺ وموالد الصالحين بالبدعة، فى الوقت الذى تتزايد فيه أعمال التبشير المسيحى للمسلمين يفتح الطريق على مصراعيه لتنصير المسلمين، كما قال السيد عز الدين ماضى أبو العزائم رضي الله عنه: (تكفير + تبشير = تنصير).

لذلك، ونظراً لخطورة الوهابية على الإسلام

والمسلمين فالواجب على كل مسلم أن يتصدى لهذا الفكر الشاذ، والذى نبأ به رسول الله ﷺ وحذرهم منه فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه والحاكم والخطيب البغدادى وأبو نعيم والمتقى الهندى.. فعن أبى سعيد الخدرى قال: بيّنا رسول الله ﷺ وآله يقسم قسماً– قال ابن عباس: كانت غنائم هوازن يوم حنين– إذ جاءه رجل من تميم مقلص الثياب ذو شيماء، بين عينيه أثر السجود فقال: اعدل يا رسول الله، فقال ﷺ: (ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل؟ قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل)، ثم قال: (يوشك أن يأتى قوم مثل هذا يحسنون القيل ويسيئون الفعل، هم شرار الخَلْق والخليقة)، ثم وصف ﷺ صلتهم بالقرآن فقال: (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شئ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يحسبونه لهم وهو عليهم)، ثم كشف النقاب ﷺ عن عبادتهم المغشوشة فقال: (ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشئ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشئ، ولا صيامكم إلى صيامهم

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

بشئ)، ثم أزاح النبى ﷺ عن أهدافهم فقال: (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)، ثم أعطانا النبى ﷺ وصفاً مجسماً لسيماهم فقال: (محلقين رؤوسهم وشواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم)، ثم ذكر النبى ﷺ علامتهم المميزة فقال: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، ثم طالبنا ﷺ إذا لقيناهم أن نقاتلهم فقال: (فمن لقيهم فليقاتلهم، فمن قتلهم فله أفضل الأجر، ومن قتلوه فله الشهادة).

قضية القبور:

إن أكبر الذرائع التى كفَّر الوهابيون الأمة بسببها هى زعمهم أن المسلمين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بعبادة القبور، وهم يجمعون على تسمية مخالفيهم بالقبوريين، وبعد دراسة مستفيضة لقضية عبادة القبور، وجدنا أن شبهاتهم تنحصر فى عشر شبهات، سوف نقوم بتفنيدها والرد عليها فى ثلاثة أجزاء متتالية تحت عنوان (موحدون لا قبوريون) كما يلى:

الجزء الأول: ١- بناء روضات الأولياء
٢- بناء المساجد على المراقد

الجزء الثانى: ٣- زيارة روضات الأنبياء والأولياء
٤- التوسل بالأنبياء والأولياء
٥- الحلف بحق الأنبياء والأولياء
٦- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم

الجزء الثالث: ٧- مشروعية الموالد
٨- طلب المدد من الصالحين
٩- التبرك والاستشفاء بالصالحين
١٠- اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين

وختاماً

إن حقيقة الوهابية أنهم عصبة تتستر باسم الدين لتحقيق سياسة صهيونية لئيمة بالغة الخطورة، فى مقابل عرض الدنيا الزائل، والعائد المستقذر الحرام، بادعاء تكفير المسلمين الذى هو الأصل فيما نعانى من الإرهاب والتطرف، وتشتيت الأمة، وتفريق العائلات، حتى أصبح

الولد عاقاً لأبيه، والبنت رافضة لأمها، بزعم أنهما كافران أو مشركان أو مبتدعان، وما من مجموعة شاذة ظهرت، إلا وكانت ولادتها ونشأتها فى أحضان الوهابية التى تتستر باسم الدين والتوحيد والسنة والدعوى إلى الله.

هذه الجماعات تمهد بلا حياء لتمكين الصهيونية من الهيمنة على الأقطار الإسلامية، وتجنيد الحمقى لهذه الدعوة الرهيبة، بما أعطاها الله من مال لا فضل لها فى الحصول عليه أبدا.

إن ولاء هؤلاء وانتماءهم ليس للأمة الإسلامية، ولكن لوطن آخر يحلم أهله بالسلطان والوصاية على المسلمين.. وانظر كيف يبعثون بمرسليهم إلى الأقطار الإسلامية لا ليواجهوا إرساليات التبشير والتنصير هناك، ولكن ليفتنوا من آمن بالله ممن أنقذهم الصوفية سابقاً ولاحقاً من الوثنية، والضياع، كما هو حادث بأفريقيا وبعض المواقع فى آسيا.. بل وفى أوربا وأمريكا، فالهدف هو التفتيت والتمزيق باسم التوحيد والسنة.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها ونبذ اليهود المفرقين من بينها، ومعاملتهم بما يليق من معاملة الأعداء.. حتى نستعيد مجد سلفنا الصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الفصل الأول

الوهابيون وبناء روضات الأولياء

فى عصرنا الحاضر صعد الوهابيون حملاتهم المسعورة ضد الإسلام والمسلمين، بفعل الثروة الطائلة التى يجنيها آل سعود من أرباح البترول العائدة إليهم فقط.

لقد خصصت الوهابية- المحتلة لأرض المسلمين فى الجزيرة- جزءاً كبيراً من أرباح البترول لترويج هذا المذهب البريطانى ونشره بين المسلمين، ولولا هذه الأموال الطائلة لما عاش هذا المذهب الوهابى إلى وقتنا هذا.

وقد وجد الاستعمار ضالته فى هذا المذهب، واتخذه خير وسيلة لإلقاء التفرقة بين المسلمين، وتشتيت صفوفهم، وضرب بعضهم البعض.. وقد حقق هذا المذهب أهداف الاستعمار البريطانى الأثيم، فتراه قد أوجد الفتنة بين المسلمين، هذا يفسق ذاك، وذاك يكفر هذا.. ولا

حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لذلك فقد قررنا أن نطرح قضية بناء القبور، وتشييد بناء القبور، وتشيد مراقد الأنبياء والأولياء، على بساط البحث والتحقيق، ونرفع الستار عن حقيقتها، حتى يثبت لك أن عقائد المسلمين مستندة إلى القرآن والسنة، وأن عقائد الوهابيين مخالفة للقرآن وسنة رسول الله ﷺ، وقد انتهجنا أسلوب الإيجاز والاختصار.

أيها القارئ الكريم:

تعتبر مسألة بناء القبور وتشييد مراقد الأنبياء وأولياء الله الصالحين من المسائل الحساسة عند الوهابيين، وقد كان ابن تيمية — وتلميذه ابن القيم — أول من أفتى بحرمة بنائها ووجوب هدمها، فى القرن السابع الهجرى.

يقول ابن القيم فى كتابه (زاد المعاد): (يجب هدم المشاهد التى بنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها — بعد القدرة على هدمها وإبطالها — يوماً واحداً).

وفى عام ١٣٤٤هـ — بعد ما استولى آل سعود على

مكة المكرمة والمدينة المنورة وضواحيهما — بدأوا يبحثون عن دليل يبرر لهم هدم المراقد المقدسة فى البقيع ومحو آثار أهل البيت — عليهم السلام — والصحابة ﷺ، فلجأوا إلى الاستفتاء من علماء المدينة المنورة حول حرمة البناء على القبور، محاولة منهم لتبرير موقفهم أمام الرأى العام الإسلامى — وخاصة فى الحجاز — لأنهم كانوا يدركون جيداً أن المسلمين فى الحجاز هم كالمسلمين فى كل مكان، يعتقدون بكرامة أولياء الله وقدسيتهم وجواز البناء على روضاتهم، فحاول الوهابيون أن يلبسوا جريمتهم هذه بلباس الإسلام، دفعاً لنقمة المسلمين! سبحان الله!!.

أرسلت السلطة السعودية قاضى القضاة فى نجد — واسمه: سليمان بن بليهد — إلى المدينة المنورة للاستفتاء من علمائها حول بناء مراقد أولياء الله، ولكن الجدير بالذكر هو أن الأسئلة التى طرحها ابن بليهد كانت تحمل فى طواياها الأجوبة المطابقة لآراء الوهابيين أنفسهم، وما

كان من العلماء إلا الإجابة بمثل ما هو مذكور في الاستفتاء نفسه، ولم يكن كثير من علمائهم يملكون الشجاعة والبطولة في التجاهر بالحق والإفتاء بالصواب، بل كانوا — وهم كذلك طوال التاريخ الوهابي- يرتزقون على أبواب السلطان، وكانوا يعرفون- مسبقاً- أن الإفتاء على خلاف آرائهم يعرضهم للتهمة بالكفر والشرك، ومن ثم يحكمون عليهم بالقتل إن رفضوا التوبة!!.

وقد نشرت جريدة (أم القرى) الصادرة في مكة في ١٧ شوال ١٣٤٤هـ تلك الأسئلة والأجوبة، وقد أثارت ضجة كبرى بين المسلمين- الشيعة والسنة- لأنهم كانوا يعلمون أن ما وراء هذا الاستفتاء- الذي قد صدر تحت وطأة التهديد والترهيب- هو الشروع بهدم القباب والبناء المشيد على روضات قادة الإسلام وعظماء المسلمين.

وهذا ما حصل بالفعل، فبعدما صدرت تلك الفتوى من خمسة عشر عالماً من علماء المدينة، وانتشر في الحجاز، بدأت السلطات الوهابية بهدم روضات آل رسول الله ﷺ

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

في الثامن من شوال من نفس العام، وقضت على آثار أهل البيت عليهم السلام والصحابة ﷺ، ونهبت كل ما كان في ذلك الحرم المقدس من فرش غالية وهدايا ثمينة وغيرها، وحولت تلك الزمرة الوحشية البقيع المقدس إلى أرض قفراء موحشة.

وفيما يلي نذكر جانباً من الاستفتاء، لتعرف كيف ضمن السائل الجواب في سؤاله، وأن الهدف لم يكن السؤال والاستفتاء، بل كان للحصول على مستمسك لتضليل الرأي العام وتدمير آثار النبوة والرسالة.

ولو كان الهدف هو الاستفتاء الحقيقي ومعرفة رأي الإسلام في ذلك، فما معنى تضمين الجواب في مطاوي الاستفتاء؟!.

بل إننا نظن أن الاستفتاء والجواب كانا قد أعدا مسبقاً في ورقة خاصة، ثم أرسلت تلك الورقة إلى علماء المدينة للتوقيع عليها فقط، وإلا فليس من المعقول أن يغير علماء المدينة وجهة نظرهم فجأة ويصدروا الفتوى بتحريم البناء

على القبور وجوب هدمها، مع العلم أنهم كانوا وآباؤهم — طوال سنوات عديدة– من الداعين إلى حفظ الآثار النبوية، وكانوا يزورون تلك المشاهد المقدسة.

يقول ابن بليهد فى سؤاله:

(ما قول علماء المدينة المنورة– زادهم الله فهماً وعلماً– فى البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟.

وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهى عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟.

وإذا كان البناء فى مسبلة، أى: موقوفة فى سبيل الله، كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنى عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقين، ومنعهم استحقاقهم أم لا؟).

وتحت التهديد والتخويف، يجيب علماء المدينة على سؤال (الشيخ) بما يلى:

(أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً، لصحة

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الأحاديث الواردة فى منعه، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين بحديث على رضي الله عنه أنه قال لأبى الهياج: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

ويقول الشيخ النجدى فى مقال نشرته جريدة أم القرى فى عددها الصادر فى شهر جمادى الثانى سنة ١٣٤٥هـ:

(إن بناء القباب على مراقد الأولياء صار متداولاً منذ القرن الخامس الهجرى).

نعم، هذه نماذج من أقوال الوهابيين حول بناء القبور، وترى أن عمدة استدلالهم — فى كتبهم ومؤلفاتهم– على الحرمة تعتمد على أمرين:

١– إجماع علماء الإسلام على التحريم.

٢– حديث أبى الهياج عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام وما شابه ذلك.

نحن الآن نتحدث فقط عن مسألة البناء على القبور وإقامة الظلال والسقف والأبنية عليها.

أما مسألة زيارة القبور فهى موضوع مستقل سوف نتحدث عنه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بالنسبة إلى المسألة الأولى فالحديث عنها فى ثلاث نقاط:

١- ما رأى القرآن الكريم تجاه البناء على القبور، وهل نجد فى القرآن بياناً لهذه المسألة؟

٢- هل صحيح أن الأمة الإسلامية متفقة على حرمة البناء على القبور؟ أم أن البناء كان متداولاً فى كل العهود الإسلامية، بدءاً بزمن النبى ﷺ وآله والصحابة؟

٣- ماذا يعنى حديث أبى الهياج الذى يستغله الوهابيون للاستدلال على باطلهم؟

أولاً.. رأى القرآن فى البناء على القبور:

لم يتطرق القرآن الكريم إلى حكم البناء على القبور بصورة خاصة، إلا أنه يمكن استنباط حكمه من خلال بعض الآيات الكريمة العامة، وإليك التفصيل:

١- البناء على روضات الأولياء تعظيم للشعائر الإلهية:

إن القرآن الحكيم يعتبر تعظيم شعائر الله سبحانه دليلاً على تقوى القلوب، فيقول عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: ٣٢) ونتساءل: ما معنى تعظيم شعائر الله؟

الجواب: إن (شعائر) كلمة جمع، ومفردها: (شعيرة) وهى بمعنى الدليل والعلامة، وليس المقصود من (شعائر) فى هذه الآية العلائم التى تثبت وجود الله تعالى، ذلك لأن الكون كله دليل على وجوده سبحانه، يقول الشاعر:

وفى كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

كما أنه ليس هناك من يقول: إن تعظيم كل ما هو موجود فى الكون دليل على التقوى، وإنما المقصود هو تعظيم شعائر دين الله، ولهذا يقول المفسرون فى هذه الآية: إن كلمة (شعائر الله) معناها معالم دين الله (راجع تفسير مجمع البيان جـ٤ ص٨٣).

وإذا كان (الصفا والمروة) وكذلك البعير الذى يساق إلى منى للنحر من شعائر الله، فإنما هو بسبب كونها من معالم الدين الحنيف وإبراهيم الخليل عليه السلام.

وإذا كانت (المزدلفة) تسمى بـ (المشعر) فإنما هو بسبب كونها من علامات دين الله تعالى، وأن الوقوف فى المشعر دليل على طاعة الله سبحانه.

وإذا كانت (مناسك الحج) تسمى بالشعائر فإنما هى لكونها علامات للتوحيد والدين الحنيف.

وخلاصة القول: إن كل ما هو شعيرة لدين الله فإن تعظيمه مما يقرب إلى الله تعالى.

ومما لا شك فيه أن الأنبياء وأولياء الله تعالى هم من أكبر وأبرز علامات دين الله، إذ أنهم كانوا خير وسيلة لإبلاغ رسالة الله ونشره بين الناس.

إن من الثابت لدى كل منصف أن وجود النبى والأئمة الطاهرين- عليهم السلام — هو من علامات الإسلام وشعائر هذا الدين المقدس، فتعظيمهم تعظيم الله وعلامة

على تقوى القلوب.

ولا شك أن صيانة آثارهم والمحافظة على روضاتهم من المحو والزوال إنما هى نوع من تعظيم شعائر الله سبحانه.

وبعبارة أخرى: نستطيع أن ندرك ضرورة تعظيم روضات أولياء الله من خلال هاتين النقطتين:

أ) إن أولياء الله- وخاصة أولئك الذين ضحوا من أجل الدين ونشره- هم من شعائر الله وعلائم دينه.

ب) إن بناء روضاتهم- بالإضافة إلى تخليد ذكرياتهم والسير على نهجهم السديد- هو نوع من تعظيمهم واحترامهم.

وعلى هذا الأساس فإننا نرى كافة الشعوب والأمم فى العالم تخصص مناطق خاصة لمثوى شخصياتهم السياسية والدينية، كى تبقى رمزاً خالداً لأتباعهم إلى الأبد، فكأن حفظ مراقدهم من المحو والاندراس يؤدى إلى خلود ذكراهم، وحياة أفكارهم ومناهجهم.

ولكى نعرف هذه الحقيقة جيداً، لابد من أن نتأمل الآية ٣٦ من سورة الحج: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.. إن بعض حجاج بيت الله الحرام كانوا يسوقون معهم بعيراً من بلادهم (هدياً بالغ الكعبة)، كى ينحر بجوار بيت الله، وكانوا يتركون على عنقه قلادة- أو غيرها- كناية عن أنه يساق للنحر فى مكة، فهو لله تعالى لا يباع ولا يشترى، فكان يتميز بهذه القلادة عن بقية الإبل.

لهذا السبب اعتبره الله تعالى ﴿مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.. ولهذا حكم الإسلام باحترام هذا الهدى، فلا يجوز ركوبه- مثلاً- ويجب توفير المأكل والمشرب له حتى ساعة النحر بجوار الكعبة.

فإذا كان البعير يكتسب هذا الاحترام والإكرام، فقط لكونه صار من شعائر الله تعالى، فما تقول فى الأنبياء والأئمة الطاهرين؟.

ألا يعتبر الأنبياء والأئمة الطاهرون- عليهم السلام-

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

والعلماء والشهداء- الذين خلعوا عن أنفسهم قلادة العبودية لله منذ البداية ونذروا أنفسهم لخدمة دين الله وقاموا بدور الوسيط بين الله وخلقه فى هدايتهم وإرشادهم- ألا يعتبرون من شعائر الله؟!.

ألا يجب تعظيمهم واحترامهم، فى حياتهم وبعد انتقالهم، التعظيم اللائق بهم؟!.

إذا كانت الكعبة والصفا والمروة ومنى وعرفات- وما هى إلا جمادات مركبة من التراب والحجر- تعتبر من شعائر الله وتستحق الاحترام والتعظيم المناسب لها بسبب ارتباطها بالله سبحانه، فلماذا لا يكون أولياء الله- الذين هم حماة دين الله وناشروا أحكامه- وما يرتبط بهم، لماذا لا يكونوا جميعاً من شعائر الله؟!.

إننا ندعو الوهابيين إلى تحكيم وجدانهم- فى هذا المجال- ونطرح عليهم هذا السؤال: هل تشكون وتترددون فى أن الأنبياء والرسل والأولياء هم من شعائر الله؟!.

ألا يحكم الوجدان بضرورة تعظيمهم وتخليدهم والتمسك بمناهجهم؟!.

هل البناء على روضاتهم وتنظيف الساحة التى تضم مراقدهم تعظيم واحترام لهم، أم هدم روضاتهم وإهمال الساحة المحتضنة لمراقدهم وتحويلها إلى خربة مهجورة موحشة هو التعظيم؟!.

٢) المودة فى القربى:

إن القرآن الكريم يأمرنا- بكل صراحة- بالحب والمعاملة الحسنة مع أقرباء النبى ﷺ فيقول: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣).

ومن الواضح لدى كل من يخاطبه الله بهذه الآية أن البناء على مراقد أهل بيت النبى ﷺ وآله، هو نوع من أنواع إظهار الحب والمودة لهم.

وهذه العادة متبعة عند كافة الشعوب والأمم فى العالم، والجميع يعتبرون ذلك نوعاً من المودة لصاحب ذلك القبر، ولذلك تراهم يدفنون كبار الشخصيات السياسية

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

والعلمية فى كنائس ومقابر مشهورة، ويزرعون أنواع الأزهار والأشجار حولها.

٣- البناء على القبور فى الأمم السابقة:

يستفاد من بعض الآيات الكريمة- فى القرآن- أن تعظيم قبور المؤمنين كان أمراً شائعاً بين الأمم التى سبقت ظهور الإسلام، فبالنسبة إلى أصحاب الكهف- بعد ما انتشر خبرهم بين الناس وهرعوا إلى الكهف لمشاهدتهم- وقع الخلاف والنزاع حول مدفنهم وانقسموا قسمين، فقال أحدهما: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ (الكهف: ٢١)، وقال الآخر: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

هنا نلاحظ أن القرآن الكريم يذكر لنا هذين الرأيين، من دون أن ينتقدهما، وعلى هذا يمكن القول بأنه لو كان الرأيان باطلين لانتقدهما، أو قص قصتهما بأسلوب رافض مستنكر.

ويقول المفسرون: إن النزاع- حول مدفن أصحاب

الكهف- إنما وقع بين المؤمنين والكافرين، أما الكافرون فقالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ والمؤمنون قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾. وكانت الغلبة مع المؤمنين حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١)، وبنى المسجد، وصارت روضات أصحاب الكهف مركزا للتعظيم والاحترام.

وهكذا يظهر لنا أن الهدف من البناء على روضات أصحاب الكهف إنما كان نوعا من التعظيم لأولياء الله الصالحين.

أيها القارئ الكريم: بعد ما مر عليك من الآيات الكريمات الثلاث، لا يمكن القول بحرمة البناء على روضات أولياء الله ولا بكراهته بأى وجه، بل يمكن اعتباره نوعا من تعظيم شعائر الله، ومظهرا من مظاهر المودة فى القربى.

٤- الإذن فى ترفيع بيوت خاصة:

لقد أذن الله تعالى فى ترفيع البيوت التى يذكر فيها

اسمه عز وجل، فقال عز من قائل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٦- ٣٧).

والاستدلال بهذه الآية- على جواز البناء على القبور- يتم ببيان أمرين:

الأول: ما هو المقصود من البيوت؟

الثانى: ما هو المقصود من الرفع؟

بالنسبة إلى الأمر الأول: ليس المراد من البيوت هو المساجد فقط، بل المراد منها ما هو الأعم من المساجد والأماكن التى يذكر فيها اسم الله تعالى، سواء كانت مساجد أو غير مساجد، كبيوت الأنبياء والأئمة- عليهم السلام- والصالحين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فهذه البيوت تعتبر من المصاديق البارزة للآية الكريمة.

بل يمكن أن يقال: إن المراد من البيوت هو غير

المساجد، لأن البيت هو البناء الذى يتشكل من جدران أربعة وعليها سقف قائم، وإذا كانت الكعبة يقال لها: بيت الله فإنما هو بسبب كونها مسقفة، والقرآن الحكيم يعتبر البيت هو المكان المسقف فيقول سبحانه: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ﴾ (الزخرف: ٣٣).

إن المستفاد من هذه الآية الكريمة هو أن البيت لا ينفك عن السقف، مع العلم أنه يستحب شرعا أن تكون المساجد غير مسقفة، هذا هو المسجد الحرام تراه مكشوفاً تحت السماء من دون سقف يظلله.

وعلى كل تقدير.. فالمقصود من البيوت إما هو الأعم من المساجد، أو غير المساجد.. هذا بالنسبة إلى الأمر الأول.

وأما الأمر الثانى- وهو معنى الرفع- فيحتمل أمرين:

أن يكون المراد منه هو الرفع المادى الظاهرى، الذى يتحقق بإرسال القواعد وإقامة الجدار والبناء، كما قال

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧). أو يكون المراد منه هو الرفع المعنوى، كما قال عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً﴾ (مريم: ٥٧). أى: منحناه مكانة عالية.

فإذا كان المراد هو المعنى الأول، فهو يدل- بكل وضوح- على جواز تشييد بيوت الأنبياء والأولياء وتعميرها، فى حياتهم وبعد وفاتهم، ومن المعلوم أن مرقد النبى- ﷺ وآله- ومرقد عدة من الأئمة الطاهرين والأولياء الصالحين إنما هو فى بيوتهم، فتشييد هذه البيوت وصيانتها من الخراب والاندثار عمل جائز بنص الآية الكريمة، بل هو محبوب ومرغوب فيه.

وإن كان المراد منه الرفع المعنوى والعظمة المعنوية، كانت النتيجة من الإذن برفعها هو الإذن بتكريمها وتبجيلها وصيانتها وتطهيرها مما لا يليق بشأنها.

وعلى كل حال، فالإذن فى الرفع- سواء كان مادياً أم

معنوياً- إنما جاء بسبب وجود الرجال الصالحين الذين يذكرون الله سبحانه فيه بالغدو والآصال.

بعد هذه الآية- وآيات أخرى مماثلة- كيف يجوز للوهابيين أن يهدموا بيوت آل رسول الله- ﷺ وآله- التى كانت مهبطاً لملائكة الله، ومركزاً لذكر الله ونشر دينه وأحكامه؟!!.

كيف يجوز لهم أن يهدموا هذه المراقد المقدسة التى هى مهوى أفئدة ملايين المؤمنين، وكانوا يزورونها- رجالاً ونساءً، صباحاً ومساءً- ويذكرون الله فيها بالصلاة والدعاء والتسبيح؟!.

لماذا أقدم الوهابيون على تحقير هذه البيوت المقدسة وإذلالها وإهمالها، وحولوها إلى قفار موحشة مهجورة، يرثى لها ويحن قلب كل مؤمن لوضعها المأساوى؟!. لماذا؟ لماذا؟.

وقد روى الحافظ السيوطى فى تفسير الدر المنثور عن أنس بن مالك وبريدة رضى الله عنهما: أن رسول الله-

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

ﷺ وآله- قرأ قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ..﴾ فقام إليه رجل وقال: أى بيوت هذه يا رسول الله؟.

فقال- ﷺ وآله-: (بيوت الأنبياء).

فقام إليه سيدنا أبو بكر ﵁ وقال: يا رسول الله وهذا البيت منها؟.

وأشار إلى بيت السادة على وفاطمة- عليهما السلام- فقال النبى ﷺ: (نعم، من أفاضلها).

ثانياً.. الأمة الإسلامية والبناء على القبور:

عندما انتشر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، وعم نوره منطقة واسعة من العالم، كانت لروضات الأنبياء- التى كانت معروفة يومذاك- بناء وسقفاً وظلالاً، وكانت لبعضها قباب مشيدة وضرائح منضدة، لا زال البعض منها موجودا حتى الآن.

وفى مكة نفسها ترى روضة النبى إسماعيل وأمه

هاجر- عليهما السلام- يستقران فى الحِجْـر المعـروف بحِجْر إسماعيل، كما أن روضة النبى دانيال- عليه السلام -يقع فى مدينة شوش فى إيران، وروضـات الأنبيـاء هـود وصالح ويونس وذى الكفل- عليهم السلام- فى العـراق، وكذلك روضات النبى إبراهيم وأولاده إسحاق ويعقـوب ويوسف- عليهم السلام- تقع فى القدس المحتلة، بعـد أن كانت فى مصر، فنقل النبـى موسـى عليه السلام- بـأمر الله تعالى- أجسادهم الطاهرة إلى القدس، ولا زالت موجـودة حتى الآن، ولكل منها معالم وأبنية مشيدة.

وروضة أم البشر السيدة حواء عليها السلام تقع فـى مدينة (جُدَّة) بالحجاز- على ما هو المشهور- وقد سميت المدينة بـ (جُدَّة) نظرا إلى مثوى السيدة حواء فيها، وقـد كانت لروضتها آثار مشهودة، ولمـا احتـل الوهـابيون الحجاز عمدوا إلى محو آثارها وطمس معالمها!.

كل هذه المراقد والروضات كانت بمرأى من المسلمين يوم فتحوا تلك البلاد، ومع ذلك لم يـصدر مـنهم أى رد

فعل سلبى تجاهها، ولم يأمروا بهدمها وتخريبها، فلو كان البناء على القبور ودفن الموتى فى مقابر مـسقفة عمـلاً محرماً فى الإسلام- لكان المفروض على أولئك المسلمين أن يقوموا- قبل كل شئ- بهدم تلك الروضـات التـى لا زالت متواجدة، فى مناطق متعددة من الأردن والعـراق، ولكانوا يمنعون من تجديد بنائها أو إعادتـه علـى مـر العصور والأزمان، ولكننا نرى أنهم لم يـأمروا بهـدمها فحسب بل دأبوا على تعميرها وصيانتها طـوال أربعـة عشر قرنا.

لقد كانوا يدركون - بوحى من العقل- أن حماية آثار الأنبياء وصيانتها إنما هى نوع من الاحترام تجاههم، وأن ذلك يقربهم إلى الله عز وجل وينيلهم الأجر والثواب.

يقول إمام الوهابية ابن تيمية- فـى كتابـه اقتـضاء الصراط المستقيم-:

(عندما تم فتح القدس كانت لقبور الأنبياء هناك أبنيـة، ولكن أبوابها كانت مغلقة حتى القرن الرابع الهجرى).

فلو كان البناء على القبور حراماً لكان هدمه واجباً- على فرض صحة قول ابن تيمية من إغلاق أبوابها إلى القرن الرابع وليس بثابت-.

وخلاصة القول: إن بقاء تلك الأبنية والقباب على الروضات المباركة طوال هذه الفترة، وبمرأى علماء الإسلام وفقهائه دليل واضح على جوازها فى الدين الإسلامى المقدس.

الآثار الإسلامية دليل على أصالة الدين:

مما لا شك فيه أن المحافظة على آثار الأنبياء- وخاصة آثار النبى سيدنا ومولانا محمد- ﷺ وآله- من روضته وروضات زوجاته وأولاده وأصحابه، وكذلك بيوتهم التى كانوا يسكنون فيها، والمساجد التى كانوا يقيمون الصلاة فيها- لا شك أن فيها نتائج محمودة وفوائد كثيرة.

اليوم وبعد مضى عشرين قرنا- تقريبا- على ميلاد السيد المسيح عليه السلام وأمه العذراء وكتابه الإنجيل وكذلك

الحواريون، تحولوا- فى عالم الغرب- إلى أسطورة تاريخية، وصار بعض المستشرقين يشككون- مبدئيا- فى وجود رجل اسمه المسيح وأمه مريم وكتابه الإنجيل، ويعتبرونه أسطورة خيالية تشبه أسطورة (مجنون ليلى).

لماذا؟.

لأنه لا يوجد أى أثر حقيقى وملموس للمسيح، فمثلا لا يدرى- بالضبط- أين ولد؟ وأين داره التى كان يسكنها؟ وأين دفنوه بعد وفاته- على زعم النصارى أنه قتل-؟.

أما كتابه السماوى فقد امتدت إليه يد التحريف والتغيير والتزوير، وهذه الأناجيل الأربعة لا ترتبط إليه بصلة وليست له، بل هى لـ (متى) و (يوحنا) و(مرقس) و(لوقا) ولهذا ترى فى خاتمتها قصة قتله المزعوم ودفنه، ومن الواضح- كالشمس فى رائعة النهار- أنها قد كتبت بعد غيابه.

وعلى هذا الأساس يعتقد الكثير من الباحثين والمحققين أن هذه الأناجيل الأربعة إنما هى من الكتب الأدبية التى

يعود تاريخها إلى القرن الثانى من الميلاد.

فلو كانت الميزات الخاصة بسيدنا عيسى محفوظة، لكان ذلك دليلا على حقيقة وجوده وأصالة حياته وزعامته، وما كان هناك مجال لإثارة الشكوك والاستفهامات من قبل المستشرقين ذوى الخيالات الواهية.

أما المسلمون فهم يواجهون العالم مرفوعى الرأس، ويقولون: يا أيها الناس لقد بعث رجل من أرض الحجاز، قبل ألف وأربعمائة سنة لقيادة المجتمع البشرى، وقد حقق نجاحاً باهراً فى مهمته وهذه آثار حياته محفوظة تماما فى مكة والمدينة، فهذه الدار التى ولد فيها، وهذا غار حراء حيث هبط عليه الوحى والتنزيل، وهذا هو مسجده الذى كان يقيم الصلاة فيه، وهذا هو البيت الذى دفن فيه، وهذه بيوت أولاده وزوجاته وأقربائه، وهذه روضات ذريته وأوصيائه- عليهم السلام-.

والآن، إذا قضينا على هذه الآثار فقد قضينا على معالم وجوده- ﷺ وآله- ودلائل أصالته وحقيقته، ومهدنا

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

السبيل لأعداء الإسلام ليقولوا ما يريدون[١].

إن هدم آثار النبوة وآثار أهل بيت العصمة والطهارة ليس فقط إساءة إليهم- عليهم السلام- وهتكاً لحرمتهم، بل هو عداء سافر مع أصالة نبوة خاتم الأنبياء ومعالم دينه القويم.

إن رسالة الإسلام رسالة خالدة أبدية، وسوف يبقى الإسلام دينا للبشرية جمعاء حتى يوم القيامة، ولابد للأجيال القادمة- على طول الزمن- أن تعترف بأصالته وتؤمن بقداسته، ولأجل تحقيق هذا الهدف يجب أن نحافظ- أبدا- على آثار صاحب الرسالة المحمدية- ﷺ وآله- لكى نكون قد خطونا خطوة فى سبيل استمرارية هذا الدين وبقائه على مدى العصور القادمة.

حتى لا يشكك أحد فى وجود نبى الإسلام- ﷺ وآله- كما شككوا فى وجود النبى عيسى عليه السلام.

لقد اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بشأن آثار النبى سيدنا

---

(١) وهذا هو الخطر الحقيقى للوهابية على الإسلام والمسلمين.

ومولانا محمد ﷺ وآله، وسيره وسلوكه، حتى أنهم سجلوا دقائق أموره، وخصائص حياته، ومميزات شخصيته، حتى أنهم سجلوا ما يرتبط بخاتمه وحذائه وسيفه ودرعه ورمحه وجواده وإبله وغلامه، وحتى الآبار التى شرب منها الماء، والأراضى التى أوقفها لوجه الله سبحانه، والطعام المفضل لديه، بل وكيفية مشيته وأكله وشربه، وما يرتبط بلحيته المقدسة وخضابه لها، وغير ذلك، ولا زالت آثار البعض منها باقية إلى يومنا هذا.

ومن خلال مراجعة تاريخ المسلمين، وتفقد البلاد الإسلامية الواسعة، واستطلاع معالمها وآثارها يظهر لنا- بوضوح- أن البناء على الأضرحة وصيانتها من الزوال والفناء كان شيئا متداولاً عند كافة المسلمين فى أنحاء الوطن الإسلامى الكبير، ولا زالت هناك الضرائح المشيدة على روضات الأنبياء والأولياء والرجال الصالحين، ويقصدها المسلمون بالزيارة والدعاء، وتعتبر تلك الضرائح من الآثار التاريخية الإسلامية، وهناك

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

الموقوفات الكثيرة التى تصرف عائداتها لحفظ هذه الآثار التاريخية وصيانتها ونظافة الساحات المحيطة بها وغير ذلك.

ولقد كانت روضات أولياء الله عامرة ومشيدة حتى فى الحجاز نفسه، وكانت- حتى قبل فتنة الوهابية واحتلالها للحرمين الشريفين وضواحيهما- تحظى باهتمام المسلمين كافة، ولم يكن هناك أى عالم دينى يستنكر بقاءها، أو يعترض على بنائها وتعميرها.

والضرائح المشيدة على روضات أولياء الله تعالى، منتشرة فى البلدان الإسلامية، وخاصة فى إيران ومصر وسوريا والعراق والمغرب وتونس والأردن، فهناك الروضات المعمورة للعلماء وكبار المسلمين، ويقوم المسلمون بزيارتها أفواجاً أفواجاً- ويبتهلون إلى الله تعالى بتلاوة القرآن- وخاصة سورة الفاتحة- وإهداء ثوابها إلى روح صاحب الروضة الذى جاءوا لزيارته.

كما أن لكل من هذه المراقد المشيدة موظفين يقومون

بالخدمة والحراسة والنظافة والصيانة وغيرها.

مع كل ما سبق.. كيف يمكن اعتبار تعمير الروضات حراماً، مع أن العادة المتبعة عند المسلمين منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا كانت ولا زالت جارية على ذلك، وهذا ما يسميه الفقهاء والعلماء بـ (سيرة المسلمين)، وهى التى تمتد جذورها إلى زمن رسول الله- ﷺ وآله- أو زمن أحد من خلفائه أو من الأئمة الطاهرين من أهل البيت - عليهم السلام-.

إن هذه السيرة قائمة على جواز البناء على الروضات، بل مرغوبيته ومطلوبيته، ولم تتعرض هذه السيرة- طوال وجودها- لأى نقد أو اعتراض، وهذا يكشف عن أصالتها وصحتها عند المسلمين طوال التاريخ، وأنها كانت من السنن المتبعة عندهم.

وقد اعترف بهذه الأصالة أحد الكتاب الوهابيين وهو الصنعانى، فكتب فى تطهير الاعتقاد يقول:

(هذا أمر عمَّ البلاد، وطبق الأرض شرقاً وغرباً،

بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلا فيها قبور ومشاهد، بل مساجد المسلمين غالبا لا تخلو عن قبر ومشهد، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة، ويسكت علماء الإسلام).

وبالرغم من اعتراف هذا الوهابى بأن سيرة المسلمين قائمة على تعمير روضات أولياء الله وتكريمها، فإنه لا يكف عن عناده وسوء سريرته، فتراه يعتبر ذلك منكرا ويستنكر سكوت العلماء عليه، وأن سكوت أولئك- فى تلك الفترة الطويلة- لا يمنع من نهى العلماء عنه فى هذه الفترة.

ولكن الرد عليه واضح: فكيف سكت العلماء سبعة قرون ولم ينطقوا ببنت شفة؟! فهل كان هؤلاء جميعا- طوال هذه القرون- يسكتون على المنكر ويتحفظون عن النهى عنه- على ما زعم-؟!.

وعندما فتح المسلمون بيت المقدس- فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه- لماذا لم يأمر عمر بهدم روضات

الأنبياء هناك؟! فهل تعتبرونه مسالماً للمشركين؟!.

حول جواب علماء المدينة:

وأغرب ما فى المقام هو الجواب المنسوب إلى علماء المدينة.. حيث قالوا:

(أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعا، لصحة الأحاديث الواردة فى منعه، ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه).

كيف يصح دعوى الإجماع على تحريم البناء على القبور فى حين أن المسلمين قد دفنوا رسول الله- ﷺ وآله- فى البيت الذى كانت تسكنه السيدة عائشة رضى الله عنها، ثم دفنوا- من بعده- سيدنا أبا بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما إلى جواره للتبرك، وبعدها أقاموا جداراً فى وسط البيت ليصبح نصفها منزلاً للسيدة عائشة، والنصف الآخر روضة لرسول الله- ﷺ وآله- وأبى بكر وعمر، وبما أن ارتفاع الجدار كان قليلاً، فقد زيد فى ارتفاعه فى زمن عبد الله بن الزبير، ثم كان هذا البيت-

الروضة- يتجدد أو يعاد بناؤه بين حين وآخر على مر العصور والأزمان، وفقا للفن المعمارى الخاص بكل عصر، وفى عهد الأمويين والعباسيين كان البناء على الروضة يحظى باهتمام بالغ، وكان يتجدد كما يقتضيه الفن المعمارى بكل عصر.

وآخر بناء أقيم على الروضة الشريفة- والذى لا زال حتى الآن- كان فى عهد السلطان عبد الحميد فى عام ١٢٧٠هـ واستغرق أربع سنوات، وبإمكانك- أيها القارئ- مراجعة كتاب وفاء الوفا للسمهودى- من صفحة ٣٨٣ إلى صفحة ٣٩٠- للحصول على تفاصيل أخرى حول ما مرَّ على مرقد رسول الله- ﷺ وآله- من بناء وتجديد وتعمير، طوال التاريخ الإسلامى، وحتى عصر السمهودى، ومن بعده فى الكتب الخاصة بتاريخ المدينة المنورة.

ثالثاً.. حديث أبى الهياج:

والآن وقد حان الوقت فى أن نبحث فى الحديث الذى

يتمسك به الوهابيون فى حرمة البناء على القبور.

قبل كل شئ نذكر نص الحديث بالسند الذى رواه مسلم فى صحيحه:

(حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب، قال يحيى: أخبرنا- وقال الآخران: حدثنا- وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى وائل عن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى علىٌّ ابن أبى طالب: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

لقد اتخذ الوهابيون هذا الحديث دليلاً على حرمة البناء على القبور، من دون أى تحقيق فى رجاله وسنده.

مناقشة الحديث:

بصورة عامة إذا أردنا الاستدلال بحديث من الأحاديث على حكم من أحكام الله تعالى، فلابد أن يتوفر فى ذلك الحديث هذان الشرطان:

١- **صحة السند:** بأن يكون رواة الحديث ورجاله-

فى جميع المراحل والطبقات- رجالاً ثقات يمكن الاعتماد عليهم وعلى أقوالهم.

٢- **دلالة الحديث:** بأن تكون فى ألفاظ الحديث وعباراته دلالة كاملة على مقصودنا منه، بحيث يفهمه غيرنا- ممن يحسن لغة ذلك الحديث ويعرف قواعدها- بمثل ما نفهمه نحن ويستنتج ما نستنتجه.

ومن حسن الحظ أن حديث أبى الهياج فاقد لهذين الشرطين، وخاصة للشرط الثانى، فلا علاقة له بالبناء على القبور إطلاقا.

توضيح ذلك: بالنسبة إلى السند، ففيه رواة لم تتفق كلمة علماء الرجال على وثاقتهم، وفيما يلى نذكر أسماء الرواة- فى هذا الحديث- الذين رفض علماء الرجال أحاديثهم:

١- وكيع.

٢- سفيان الثورى.

٣- حبيب بن أبى ثابت.

٤- أبو وائل الأسدى.

هؤلاء الرواة الأربعة انتقدهم الحافظ ابن حجر العسقلانى- فى كتاب تهذيب التهذيب- وذكرهم بما يسلب الثقة من حديثهم هذا وأحاديثهم الأخرى.

والجدير بالذكر: أن راوى الحديث- أبو الهياج- ليس له حديث فى كل الصحاح الستة- من أولها إلى آخرها- إلا هذا الحديث فقط، فماذا تقول فى رجل ليست له إلا رواية واحدة؟!.

إن هذا يدل على أن الرجل ليس راويا للحديث، وعلى هذا الأساس فالاعتماد على حديثه لا يخلو من إشكال.

أيها القارئ الكريم: هذا سند حديث أبى الهياج، وقد عرفت ضعف رواته وعدم اتفاق علماء الرجال عليهم، فإذا كان الحديث محفوفاً بهذه الإشكالات المتعددة، فلا يمكن لأى فقيه أن يستند عليه فى استنباط الحكم وإصدار الفتوى.

وأما دلالة الحديث: فلا يقل إشكالاً عن السند ذاته، إذ

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

أن النقطة المهمة التى يستشهدون بها- فى هذا الحديث- هو قوله:

(ولا قبراً مشرفاً إلا سويته).

هنا لابد من وقفة تأمل وتحقيق عند كلمتى:

١- مشرفاً.

٢- سويته.

١- إن لفظة (المشرف) معناه: العالى أو المرتفع. قال فى المنجد:

(المشرف من الأماكن: العالى والمطل على غيره).

وقال صاحب القاموس- وهو أكثر أصالة فى ترتيب معانى الألفاظ-:

(الشرف- محركة-: العلو، ومن البعير: سنامه).

إذن: معنى (مشرف) هو الارتفاع المطلق، وخاصة الارتفاع الذى على شكل سنام البعير.

فيجب هنا- مع الانتباه والالتفات إلى القرائن- أن نبحث عن المعنى المراد من (المشرف) فى الحديث.

٢- لفظة (سويته) معناها: جعل الشيء متساويا، وتقويم المعوج.

سوى الشيء: جعله سوياً، يقال: سويت المعوج فاستوى: صنعته مستوياً.

وجاء في القرآن الكريم:

﴿الذى خلق فسوى﴾ (سورة الأعلى: ٢).

بعد الإطلاع على معانى المفردات، يجب أن نعلم: ما هو المقصود من هذا الحديث؟.

الواقع: لهذا الحديث احتمالان، ولابد من تعيين أحدهما على ضوء معانى المفردات والدلائل الأخرى.

الاحتمال الأول: أن يكون الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام- قد أمر أبا الهياج بهدم القبور المرتفعة، وتسويتها مع الأرض تماماً.

ولكن هذا الاحتمال- الذى يتمسك به الوهابيون- مردود ومرفوض لعدة أسباب:

أولا: لأن لفظة (التسوية) لم تأت- فى اللغة- بمعنى

الهدم والتدمير، ولو كان المقصود به هنا هو ذلك لكان المفروض أن يقال: (ولا قبراً إلا سويته بالأرض) والحديث يخلو من ذلك.

ثانيا: لو كان المقصود منه هو الهدم فلماذا لم يصدر أحد من علماء الإسلام فتوى بذلك؟!.

بالإضافة إلى أن تسوية القبر بالأرض هى خلاف للسنة الإسلامية والاستحباب الشرعى، إذ أنه يستحب أن يكون القبر مرتفعاً عن الأرض، وقد أفتى جميع فقهاء الإسلام باستحباب ارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة- الذى يطابق فتاوى أئمة المذاهب الأربعة- ما يلى:

(ويندب ارتفاع التراب فوق القبر بقدر شبر).

فإذا كان هذا الاحتمال الأول مردوداً، وجب أن نفسر الحديث بالاحتمال الآتى:

الاحتمال الثانى: أن يكون المقصود من تسوية القبر هو جعل سطحه مستويا ومسطحا، بعكس القبور التى

تبنى على شكل ظهر السَمك وسنام البعير، وعلى هذا الأساس فإن الحديث يعنى أن يكون سقف القبر مسطحاً ومستوياً، ولا يجوز أن يكون كظهر السمك أو مُسنماً، كما هى العادة عند بعض أهل السنة، وقد أفتى أئمة المذاهب الأربعة- باستثناء الشافعى- باستحباب تسنيم القبر.

وبذلك فإن هذا الحديث يؤيد فتوى علماء الشيعة الذين يقولون بأن القبر ينبغى أن يكون مسطحا ومستوياً فى نفس الوقت الذى يكون مرتفعا عن الأرض.

وعلى هذا فإن حديث أبى الهياج لا يعمل به إلا فى المذهب الشافعى والمذهب الشيعى.

وتجدر الإشارة إلى أن مسلماً أورد فى صحيحه حديث أبى الهياج وحديثا آخر- سنذكره- تحت عنوان: باب الأمر بتسوية القبر، وكذلك ذكره الترمذى والنسائى فى سننهما تحت نفس العنوان، والمقصود من هذا العنوان هو أن يكون القبر مسطحاً ومستوياً، ولو كان المقصود منه

تسوية القبر بالأرض لكان المفروض تسمية الباب المذكور بـ (باب الأمر بتخريب القبور وهدمها).

وهذا ما تجده فى اللغة أيضاً، فكلمة (تسوية) لو أطلقت على شىء- كالقبر- كان معناها أن يكون القبر نفسه مسطحاً ومستوياً، لا أن يسوَّى بشىء آخر كالأرض مثلاً.

وإليك الحديث الآخر الذى ذكره مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنائز- والذى يحتوى نفس المضمون الذى اخترناه-:

(كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بـ (رودس) فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله يأمر بتسويتها).

والخلاصة: إن مفتاح معرفة هذا الحديث يكمن فى لفظ (سويته) وفيه ثلاث احتمالات، ومع الانتباه إلى الدلائل والقرائن لابد من انتخاب احتمال واحد، والاحتمالات هى:

١- أن يكون المعنى هو هدم البناء المشيد على القبر.

وهذا الاحتمال باطل، لأن القبور التى كانت فى المدينة

لم تكن لها قباب وضرائح يومئذ.

٢- أن يكون المعنى هو تسوية القبر مع الأرض.

وهذا الاحتمال مردود أيضاً، لأن السنة القطعية تقتضى بارتفاع القبر عن الأرض شبراً واحداً.

٣- أن يكون المعنى هو تسطيح القبر، وتعديل ما فيه من اعوجاج، والحيلولة دون تسنيمه كظهر السمك وسنام البعير.

وهذا هو المتعين، وعلى هذا فلا علاقة له بمقصود الوهابى الذى استدل به.

والآن تعال إلى العلامة النووى- شارح صحيح مسلم- لترى كيف يشرح الحديث ويقول:

(إن السنة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً، ولا يسنم، بل يرفع نحو شبر ويسطح).

يظهر من هذه العبارة أن شارح صحيح مسلم قد استنبط نفس المعنى الذى استنبطناه من هذا الحديث، بأن الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- أوصى أبا الهياج بتبديل

القبور المسنمة- أو التى على شكل ظهر السمك- إلى قبور مسطحة، ولم يأمر بتسوية القبور بالأرض.

ولم ننفرد فى استنباط هذا المعنى من هذا الحديث، بل قال به الحافظ القسطلانى فى كتاب (إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى)، فبعدما يذكر أن السنة فى القبر تسطيحه، وأنه لا يجوز ترك هذه السنة، لمجرد أنها صارت شعاراً (للرافض)، وأنه لا منافاة بين التسطيح وحديث أبى الهياج.

ويقول: (.. لأنه لم يرد تسويته بالأرض وإنما أراد تسطيحه، جمعاً بين الأخبار) [إرشاد السارى: ج٢ ص٤٦٨].

بعد هذا كله: لو كان المعنى- فى وصية الإمام أمير المؤمنين- عليه السلام- لأبى الهياج- هو هدم القباب والبناء المشيد على القبور، فلماذا لم يأمر-عليه السلام- بهدم القباب التى كانت على روضات الأنبياء فى زمانه؟!.

مع العلم أنه-عليه السلام- كان يومذاك الحاكم المطلق على

البلاد الإسلامية كلها، وكان يعلم بالقباب المشيدة على روضات الأنبياء فى كل من فلسطين وسوريا والعراق ومصر وإيران واليمن.

ومع غض النظر عن ذلك كله، ولو فرضنا أن الإمام-عليه السلام- أمر أبا الهياج بهدم القبور المرتفعة وتسويتها مع الأرض تماما، فليس فى الحديث ما يدل على وجوب هدم البناء المشيد على القبور، ذلك لأن الإمام-عليه السلام- قال لأبى الهياج- على فرض صحة الحديث-:

(ولا قبراً إلا سويته).

ولم يقل: (ولا بناء ولا قبة إلا سويتهما)، مع العلم أن البحث ليس عن القبر نفسه، وإنما عن الأبنية المقامة عليه، هذه الأبنية التى يستظل المؤمنون بظلالها، لتلاوة القرآن والدعاء وإقام الصلاة، فهل فى هذه العبارة ما يدل على هدم هذه الأبنية والآثار التى تساعد الزوَّار على العبادة وتصونهم عن الحر والبرد؟!.

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

احتمالان.. فى النهاية:

وفى النهاية وختام هذا الفصل هناك احتمالان آخران، لا مناص من ذكرهما تتميماً للموضوع.

الاحتمال الأول: أن يكون هذا الحديث إشارة إلى ما كان متعارفا عند بعض الأمم السابقة، من اتخاذ روضات الصالحين قبلة لهم يتوجهون إليها عند العبادة، وكانوا ينصبون صورة إلى جانب الروضة، وبذلك يتركون التوجه إلى القبلة، التى أمرهم الله تعالى بالتوجه إليها حال العبادة.

وعلى هذا الاحتمال فلا يمكن أن تكون لهذا الحديث أية صلة بقبور المسلمين، ولم يعهد من أى مسلم أن يتوجه إليها فى الصلاة أو يسجد عليها، بل جرت سيرة المسلمين على الصلاة بجواز القبور، من دون أن تكون قبلة لهم، بل وجوههم نحو الكعبة، يقيمون الصلاة ويتلون كتاب الله وهم بجوار القبور.

وإذا كان المسلمون يتسارعون إلى زيارة روضات

أولياء الله الصالحين، ويقضون هناك ساعات فى عبادة الله تعالى بجوار تلك المراقد المقدسة، فإنما هو بسبب ما اكتسبته تلك الأرض من الشرف والقدسية بسبب احتضانها لذلك الجسد الطاهر، ولهذا الحديث تفصيل قادم.

الاحتمال الثانى: أن يكون المقصود من قوله-عليه السلام- لأبى الهياج: (أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً إلا سويته) أن يكون المقصود من (التمثال) تصاوير الأصنام، ومن (القبر) قبور المشركين التى كانت مشمولة بالعطف والعناية من ذويهم.

والخلاصة: إن حديث أبى هياج لا علاقة له بالبناء على القبور أصلاً، بل هو بشأن القبور المسنمة، أو بشأن قبور المشركين وتماثيل الأصنام.

وفيما يلى نذكر فتوى أئمة المذاهب الأربعة حول البناء على القبور:

(يكره أن يبنى القبر ببيت أو قبة أو مدرسة أو مسجد) [الفقه على المذاهب الأربعة: ج١ ص٤٢١].

فما دام أئمة المذاهب متفقين على كراهية البناء على القبور.. فكيف يتجرأ قاضى نجد على الفتوى بحرمة البناء؟!!.

(إن هذا إلا اختلاق).

مع العلم أن الحكم بالكراهة لا دليل صحيح عليه، وخاصة إذا كان البناء مساعداً للزائر لإقامة الفرائض الدينية وتلاوة القرآن الحكيم عند القبر الذى يقام عليه البناء.

أين دفن ﷺ وآله؟:

إن جميع المؤرخين والمحدثين وأهل السير ذكروا بأن جسد سيدنا ومولانا محمداً ﷺ قد دفن فى بيت السيدة عائشة رضى الله عنها بموافقة الصحابة رضي الله عنهم، وقد تم انتخاب بيتها للدفن استناداً إلى ما روى عنه ﷺ بأن كل نبى يدفن فى المكان الذى يتوفى فيه (مسند أحمد، وصحيح الترمذى، وطبقات ابن سعد).

والآن يأتى هذا السؤال:

إذا كان النبى ﷺ قد نهى عن البناء على القبر، فكيف دفنوا جسده الطيب الطاهر فى بيت مسقف، ثم أقاموا جداراً فى وسط البيت، فصار لروضته الشريفة بناء يقصده المؤمنون ويزوره المسلمون؟!!.

ومن المضحك- فى هذا المجال- هو قول أحد الكتاب الوهابيين الحائدين عن الحق، حيث يقول: (إن الحرام هو البناء على القبر لا الدفن تحت البناء، وقد دفنوا النبى ﷺ تحت البناء، ولم يبنوا على قبره شيئاً) [كتاب رياض الجنة: بقلم مقبل بن الهادى الوادعى، طبعة الكويت].

إن هذا الكاتب اضطر إلى هذا القول السخيف، لكونه يرى روضة رسول الله ﷺ مشيدة بالبناء والقبة، ولولا ذلك لحكم بحرمة الدفن فى البيت أيضاً.

فانظر كيف يفتى من تلقاء نفسه بغير ما أنزل الله، إرضاء لهواه، وتجاوباً مع اتجاهه المنحرف!!!.

ونحن نسأل هذا الوهابى: هل أن الحرام هو البناء

على القبر فقط، لكن إبقاء البناء ليس حراماً؟!.. أم أن البناء- إيجاداً وإبقاءً- حرام؟!.

إذا كان الحرام هو البناء فقط فنحن نسأل: لما أقدمت حكومة الاحتلال السعودى- ظلماً وزوراً- على هدم آثار النبوة، ومراقد الأئمة الطاهرين- عليهم السلام- وروضات الصحابة وأبناء الرسول ﷺ، مع العلم أن الحرام- عندكم- هو إقامة البناء فقط، لا الإبقاء على البناء؟!!.

وبالإضافة إلى ذلك.. إن هذا الحكم هو خلاف ما أفتى به أسلافكم- ابن القيم وابن تيمية- حيث يقول الأول:

(يجب هدم المشاهد التى بنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها- بعد القدرة على هدمها وإبطالها- يوماً واحداً).

فعلى هذا الأساس لا يستطيع هذا الوهابى الأثيم أن يقول بحرمة البناء فقط، كى لا يخالف من سبقوه، ولا مناص له من الحكم بحرمة البناء إيجاداً وإبقاءً.

هنا يأتى هذا السؤال: لماذا دفن المسلمون جسد النبى

ﷺ تحت البناء؟ صحيح أنهم لم يقيموا عليه البناء، إلا أن الدفن هناك أدى إلى أن يكون لروضته الشريفة بناءً وسقفاً.

وترى هذا الوهابى المعاند يحاول الفرار والتخلص من هذا السؤال فيفتى من نفسه بغير ما أنزل الله- كما هو عادتهم- ويقول ما معناه: إن الإبقاء الحرام هو للبناء الذى بنى على القبر، أما إذا كان البناء سابقاً على الدفن فليس الإبقاء عليه حراماً.

فانظر كيف يفرق فى الحكم من تلقاء نفسه، تبريراً لما قام به المسلمون يومذاك، ومحاولاً التملص من الحق الذى يلاحقه ويصدمه.

اختلاق الأدلة الواهية تبريراً للجريمة:

لقد لجأ الوهابيون إلى اختلاق الأدلة الواهية التى تبرر لهم هدم المراقد الطاهرة والقباب الشريفة للأئمة الطاهرين- عليهم السلام- فى البقيع، ومما قالوا- فى هذا المجال-: إن البقيع أرض موقوفة، ويجب أن يستفاد منها

D:\كتب\الوهابية\٢٤.doc

لنفس الغرض الذى وقفها صاحبها، ويجب القضاء على كل ما يوجب الحد من الاستفادة عن الغرض المقصود، والبناء ونصب الأعمدة والجدران فى هذه الأرض يوجب الحد من الاستفادة من جزء منها، فأرض البقيع موقوفة لدفن الموتى، ومن الواضح أن نصب الأعمدة والجدران- للبناء- يحتل جزءاً من الأرض، إذ لا يمكن الدفن تحت الأعمدة والجدران، وهذا يؤدى إلى الحد من الاستفادة للغرض المقصود، ولهذا تجب إزالة ما على هذه الأرض من بناء كى يمكن الدفن فى كل بقعة فيها.

الجواب والرد:

لا شك أن هذا النوع من الاستدلال ليس إلا تسرعاً فى الحكم وابتعاداً عن الحق، يريد به القاضى الوهابى القضاء على آثار أهل البيت- عليهم السلام- بأى وجه كان وحتى لو أفلس من الأدلة فإنه يأمر بالهدم بحكم القوة والعنف والزور، وما هذا الدليل إلا للتمويه على عوام المسلمين وبسطائهم بأنه يفتى بما أنزل الله، ولهذا تراه يعتبر البقيع

أرضاً موقوفة للدفن.

ولكن هذا الدليل- كسائر أدلتهم- باطل من عدة وجوه:

الأول: لم يرد في أي كتاب- من كتب التاريخ والحديث- ما يشير إلى أن أرض البقيع موقوفة، ولم يصرح به أحد من المؤرخين والمحدثين. هذه كتب التاريخ بين يديك، لا ترى فيها أثراً لهذا القول، بل أنه يُحتمل قوياً أن البقيع كان أرضاً مواتاً متروكاً كسائر الأراضى الموات، وكان أهل المدينة يدفنون موتاهم فيها، وعلى هذا فأرض البقيع كانت من (المباحات الأولية) التى يجوز التصرف فيها مطلقاً، بأى شكل كان.

لقد كان الناس- فى العهود السابقة- غير حريصين على تملك الأراضى البائرة الموات، إذ لم تكن الإمكانات متوفرة لديهم للقيام بالبناء والعمران إلا قليلاً، كما لم تبدأ- يومذاك- هجرة أهل القرى إلى المدن، ولم تكن هناك مشكلة باسم مشكلة (الأرض)، وأفراد باسم (محتكرى

الأرض) ومؤسسات عقارية باسم (بورصة الأراضى) ولهذا فإن أراضى واسعة كانت متروكة بلا مالك، وهى ما يعبر عنها فى الشريعة الإسلامية بـ (المباحات) و(الأراضى الموات البائرة).

وقد جرت العادة- فى المدن والقرى- بأن يخصص الناس قطعة من الأرض لدفن الموتى فيها، أو كان واحد منهم يدفن فقيده فى أرض، ويتبعه الآخرون فى ذلك، من دون التفات إلى الوقف أصلاً.

وأرض البقيع ليست مستثناة من هذه القاعدة، فلم تكن الأرض- فى الحجاز والمدينة- ذات قيمة، ومع وجود هذه الأراضى الموات المحيطة بالمدينة لم يكن يقدم إنسان على وقف أرض زراعية- مثلاً- لدفن الموتى، لأن الأراضى الزراعية كانت قليلة، بعكس الأراضى الموات فإنها كانت كثيرة ومن المباحات الأولية.

والجدير بالذكر أن التاريخ أيضاً يؤكد هذه الحقيقة، يقول السمهودى فى كتابه وفاء الوفا: (أول من دَفن

رسول الله بالبقيع: عثمان بن مظعون.. ولما توفى إبراهيم ابن رسول الله أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس فى البقيع وقطعوا الشجر، فاختارت كل قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها...

كان البقيع غرقداً فلما توفى عثمان بن مظعون ودفن فى البقيع قُطع الغرقد عنه).

لقد ظهر- من كلام السمهودى- أن أرض البقيع كانت مواتاً، وتم تقسيمها إلى عدة قطع بعد ما دفن أحد الصحابة فيها، وخصصت كل قطعة منها قبيلة من القبائل وبيت من البيوتات، أما أن تكون موقوفة فلا ترى لها أثراً فى التاريخ، بل يستفاد من التاريخ أن البقعة التى تحتضن أجساد الأئمة الطاهرين- عليهم السلام- فى البقيع كانت داراً لعقيل بن أبى طالب، وأن تلك الأجساد الطاهرة إنما دفنت فى دار تعود إلى بنى هاشم.

يقول السمهودى: (دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد ابن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

التى فى دار عقيل).

ويقول أيضاً: (عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم ابن رسول الله عند الزوراء... وهى الدار التى صارت لمحمد بن زيد بن على... وأن سعد بن معاذ دفنه رسولُ الله فى طرف الزقاق الذى يلزق دار المقداد بن الأسود... وهى الدار التى يقال لها: دار ابن أفلح، فى أقصى البقيع، عليها جنبذة، أى: قبة).

هذه العبارات بمجموعها تؤكد على أن أرض البقيع لم تكن وقفاً، وأن أجساد الأئمة الطاهرين- عليهم السلام- إنما دفنت فى بيوتهم المملوكة.

بعد كل ما سبق: هل يصح هدم آثار آل رسول الله ﷺ وتسويتها مع الأرض بحجة أنها لا تنسجم مع الوقف؟!.

ولو فرضت- جدلاً- أن أرض البقيع موقوفة، فهل هناك ما يثبت كيفية وقفها؟! ولعل مالك الأرض قد سمح بإقامة البناء والقباب على روضات الشخصيات المرموقة التى تدفن فيها؟!.

نحن لا نعلم تفصيل الموضوع، الشئ الذى نعلمه هو أن المسلمين أقاموا البناء والقباب على تلك الروضات، ويجب حمل فعل المسلم على الصحة والابتعاد عن اتهامه ونسبة المعصية إليه.

وعلى هذا الأساس فإن هدم تلك القباب المقدسة والأبنية المحترمة يعتبر حراماً بّيناً، ومخالفةً قطعيةً للأحكام الشرعية.

وكان القاضى ابن بليهد وأتباعه يعلمون جيداً أن فكرة وقفية البقيع ليست إلا استدلالاً مصطنعاً، وحتى لو لم يرسم لهم الشيطان هذا الدليل الواهى، لكانوا يهدمون آثار آل رسول الله ﷺ بلا تردد، ذلك لأن هذه المرة ليست هى المرة الأولى التى تقوم فيها الوهابية البريطانية بهدم آثار الرسالة والإسلام، بل إن المرة الأولى كانت فيه سنة ١٢٢١هـ عندما سيطروا – لأول مرة – على المدينة المنور وهدموا تلك الأبنية والآثار، ثم أعيد بناؤها بعد دحر الوهابيين وطردهم من المدينة على يد القوات العثمانية.

D:\كتب\الوهابية\٢٤.doc

الفصل الثانى

الوهابيون وبناء المساجد على المراقد

كان الأولى بالوهابيين أن يتمسكوا بالعروة الوسطى، وأن يعالجوا مجتمعنا الإسلامى مما يعانيه من شتى أنواع المحن والمشكلات، ومختلف أنواع البؤس والتخلف.

الأولى بهؤلاء أن يعملوا أقلامهم ضد الخطر التنصيرى المحدق بعالمنا الإسلامى من الصليبية العالمية، ونمط الحياة الغربية حياة التحلل والانحلال.

إن شبابنا المسلم فى حاجة إلى يقظة ضد هذه الأخطار، لأن هذه الأخطار لا تهدد كيان طائفة من المسلمين كالصوفية أو السلفية فحسب بل تهدد كيان المسلمين، وتهدم الشخصية المسلمة، وتقضى على الأمة الإسلامية جمعاء.

الأولى بهؤلاء أن ينبهوا الأمة الإسلامية من الخطر

الداهم المتزايد من جانب الاستعمار، ومن جهة التبشير الصليبى، ومن المبادئ الهدامة الأخرى كالعلمانية والماسونية والبهائية والقاديانية.

الأولى بهؤلاء أن يكفِّروا ويشرِّكوا ويحقروا القادة والكتاب الذين يقدسون ماركس ولينين وماوتسى تونج من دعاة الشيوعية، وسارتر وغيره من دعاة الوجودية والانحلال، لا أن يتركوا هؤلاء وأولئك ويقصرون هجومهم وأقلامهم وألسنتهم على الأئمة الأعلام: أحمد البدوى، وإبراهيم الدسوقى، وأحمد الرفاعى وغيرهم من الهداة إلى الله.

الأولى بهؤلاء أن يهدموا من نفوس شبابنا العربى ارتياد الملاهى الليلية وأماكن الفسق والفجور، لا أن يهدموا أضرحة الأنبياء الأولياء التى يذكر فيها اسم الله.

فيا إخوة الإسلام: يجب علينا توحيد الصفوف، ورفض العصبيات الطائفية، وما يوجب التناقض والتباعد، فقد جربنا مرارة الاختلاف والتفرقة وسوء الظن ورمى

بعضنا بعضاً بالكفر والشرك.

ولا نطيل عليك أيها القارئ الكريم وقفتك للدخول فى موضوع هذا الفصل، وهو (مشروعية بناء المساجد على المراقد) لامتياز أصحابها.

فبعد أن بينا فى الفصل الماضى جواز بناء روضات الأولياء، وفندنا شبهات الوهابية وأباطيلها حول هذا الموضوع.. نبدأ هذا الفصل بالسؤال التالى:

هل بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها جائز أم لا؟.

وإذا كان جائزا فما معنى ما روى (أن النبى-ﷺ وآله- لعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور الأنبياء مساجد) ألا يعتبر بناء المسجد بجوار روضات الأولياء ملازما لما قد ورد فى هذا الحديث؟!.

الجواب: إن بناء المساجد بجوار روضات الصالحين أو عليها لا مانع فيه أبداً، لأنه يندرج تحت الأصول الإسلامية العامة المجوزة، ذلك لأن الهدف من بناء

المسجد هناك إنما هو عبادة الله تعالى بجوار مثوى أحد أحبائه وأوليائه الصالحين الذى منح البركة والشرف لتلك الأرض التى دُفن فيها.

وبعبارة أخرى: إن الهدف من تشييد المساجد هناك هو التشجيع على أداء الفرائض الشرعية والعبادات، قبل زيارة ذلك القبر أو بعده.

وعلى أساس أن زيارة القبور ليست محرمة- حتى عند الوهابيين- وكذلك إقامة الصلاة قبل الزيارة أو بعدها، فلا معنى للقول بحرمة البناء- بجوار روضات الصالحين أو عليها- لعبادة الله وأداء فرائضه الشرعية.

إن التأمل فى قصة أصحاب الكهف يكشف لنا عن أن بناء المسجد بجوار القبر كان سنة متبعة عند الأمم والشرائع السابقة، والقرآن الكريم يشير إلى تلك السنة من دون أى رد أو نقد.

وقد سبقت الإشارة فى الفصل السابق إلى أن أصحاب الكهف عندما انكشف خبرهم- بعد ثلاثمائة وتسع سنين-

اختلف الناس فى نوعية احترامهم وتكريمهم وانقسموا إلى قسمين:

١- قسم قالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً﴾ (الكهف: ٢١). وذلك لكى يكون تخليداً لذكراهم.

٢- والقسم الثانى- الذى كسب الموقف فى النهاية- دعا إلى بناء المسجد على الكهف كى يكون مركزاً لعبادة الله تعالى، بجوار قبور أولئك الذين رفضوا عبادة غير الله، وخرجوا من ديارهم هاربين من الكفر، ولاجئين إلى توحيد الله وطاعته.

وقد أجمع أغلب المفسرين على أن الاقتراح الأول كان من المشركين، بينما الاقتراح الثانى كان من المؤمنين الموحدين (راجع تفسير الكشاف: للزمخشرى، وغرائب القرآن: للنيسابورى، ومعالم التنزيل: للبغوى، وغيرهم)، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

وجاء فى التاريخ أن العثور على أصحاب الكهف

وانكشاف أمرهم كان فى عصر انتصار التوحيد على الشرك، وكان قادة المشركين- الداعين إلى عبادة الأصنام- مندحرين مغلوبين، فاقتراح بناء المسجد جاء من المؤمنين بالله الموحدين له سبحانه.

فإذا كان بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها علامة على الشرك، فلماذا صدر هذا الاقتراح من المؤمنين؟!.

ولماذا ذكر القرآن الكريم اقتراحهم من دون أى نقد أو رد؟!.

أليس ذلك دليلا على الجواز.؟.

وليس صحيحاً- قطعاً- أن يذكر الله تعالى كلاماً للمشركين ويمر عليه بدون رد ونقد إجمالى أو تفصيلى.

إن هذا (تقرير) من القرآن على صحة اقتراح أولئك المؤمنين، ومن الثابت أن تقرير القرآن حجة شرعية- كما هو ثابت فى علم أصول الفقه الدينى-.

وهذا يدل على أن سيرة المؤمنين الموحدين فى العالم

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

كله كانت جارية على هذا الأمر، وكان يعتبر عندهم نوعا من الاحترام لصاحب القبر وتبركاً به.

لقد كان الأولى للوهابيين أن يعرضوا المسألة على القرآن أولاً، ثم يبحثوا هنا وهناك عن حديث من الأحاديث الشريفة.

وفيما يلى نذكر ما تمسكوا به فى هذا المجال، لنقف على ضعفه وبطلانه:

لقد تمسك الوهابيون بمجموعة من الأحاديث على حرمة بناء المسجد عند روضات الصالحين، وفيما يلى نذكر تلك الأحاديث مع المناقشة والتحقيق:

(١) ذكر البخارى فى صحيحه باب الجنائز- باب كراهة اتخاذ المساجد على القبور- هذين الحديثين:

الحديث الأول: لما مات الحسن بن الحسن بن على، ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت ، فسمعوا صالحاً يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟.. فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا.

الحديث الثانى: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً.. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنى أخشى أن يتخذ مسجداً.

(٢) وقد ذكر مسلم فى صحيحه هذا الحديث الثانى مع اختلاف يسير، وذكر أيضاً:

الحديث الثالث: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنى أنهاكم عن ذلك.

والحديث الرابع فى صحيح مسلم: إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها فى الحبشة، فيها تصاوير لرسول الله – ﷺ –: فقال رسول الله: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).

(٣) **أما الحديث الخامس:** فيرويه النسائى– فى سُننه باب التغليظ فى اتخاذ السُرُج على القبور– عن ابن عباس

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

رضى الله عنهما: لعن الرسول زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُرُج.

وترى ابن تيمية– الذى يعتبر المؤسس لهذه العقائد، ومحمد بن عبد الوهاب إنما يأكل من فضالته– تراه يستند إلى هذه الأحاديث فى حرمة بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها، فيقول: (قال علماؤنا: لا يجوز بناء المسجد على القبور) (وذلك فى كتاب زيارة القبور: ص ١٠٦).

تحقيق فى معانى الأحاديث:

والآن يجب التحقيق والتأمل فى نصوص هذه الأحاديث، لنقف على مدلولها الصحيح.

قبل كل شئ، يجب أن نعلم– كأصل عام– أنه كما تكون آية قرآنية مفسرة لآية أخرى، كذلك الأحاديث يكون أحدها مفسراً للآخر، وموضحاً وكاشفاً عن غموضه.

لقد تمسك الوهابيون بظاهر حديث واحد، واستنتجوا منه حرمة بناء المسجد على روضات الصالحين أو

بجوارها، فى حين أنهم لو كانوا يصهرون الأحاديث كلها فى بوتقة واحدة، لكانوا يفهمون ما عناه الرسول الأكرم- ﷺ وآله-.

هؤلاء أغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد، مما أدى بهم إلى تفسير كثير من الأحاديث تفسيراً خاطئاً.

نقول: إن ما تمسك الوهابيون به- على حرمة بناء المسجد عند القبر- من أحاديث إنما يكون مقبولا إذا كانت أسانيدها صحيحة ورواتها ثقات، وفى غير هذه الصورة فلا تصلح تلك الأحاديث للاستدلال أبداً.

وبما أن التحدث عن إسناد كل هذه الأحاديث يؤدى إلى إطالة الكلام، لهذا نختصر الحديث عما تضمنته تلك الأحاديث فنقول:

أما الحديث الأول وهو: (لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة على قبره..) إلى آخره، فهو نقيض لمذهب الوهابيين، إذ أنه دليل على جواز نصب المظلة والقبة على القبر، والوهابيون يحرمون مطلق الظلال،

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

سواء كان مظلة أو قبة وبناء.

فهذا الحديث يدل على جواز نصب المظلة وإقامة القبة على القبر، ولو كان ذلك حراما لما صدر من امرأة الحسن بن الحسن، لأنه كان بمرأى ومسمع من التابعين وفقهاء المدينة.

ولعلها نصبت تلك القبة لأجل تلاوة القرآن على القبر، وقاية من الحر والبرد وغيرهما.

وأما قول الراوى: (فسمعوا صالحاً يقول..) فهو أشبه بقول غير الصالحين، لأنه نوع من الشماتة- والشماتة ليست من أخلاق الصالحين- ومثله فى ذلك ما أجابه الصالح المزعوم.

إن إقامة تلك المرأة على قبر زوجها الفقيد لم يكن على أمل عودته إلى الحياة، حتى يقال: إنها يئست، بل كان لتلاوة القرآن وغيره.

والخلاصة: إن قول ذلك الصالح المزعوم وجواب الآخر ليس حجة شرعية، إذ ليس من كتاب الله ولا من

السنة الشريفة.

وأما بالنسبة إلى الأحاديث التى تلعن اليهود والنصارى وتحذر المسلمين من التشبه بهم، فنقول:

إن معرفة مقصود هذه الأحاديث يتوقف على معرفة ما كان يقوم به اليهود والنصارى عند روضات أنبيائهم، ذلك لأن النبى-ﷺ وآله- إنما نهى عن القيام بما كان يقوم به اليهود والنصارى، فإذا عرفنا عملهم عرفنا- بالتبع- الحرام المنهى عنه.

وتوجد فى الأحاديث قرائن شاهدة على أن اليهود والنصارى كانوا يتخذون روضات أنبيائهم قبلة لهم تصرفهم عن التوجه إلى القبلة الواجبة، وأكثر من ذلك.. كانوا يعبدون أنبياءهم بجوار روضاتهم بدل أن يعبدوا الله الواحد القهار، أو كانوا يجعلون أنبياءهم شركاء مع الله سبحانه فى العبادة.

فإذا كان المعنى- فى تلك الأحاديث-: أن لا تتخذوا روضات الصالحين قبلة لكم، أو: لا تجعلوهم شركاء مع

D:\كتب\الوهابية\٢٤.doc

الله تعالى فى العبادة، فلا يمكن الاستدلال- بأى وجه- على حرمة البناء على قبورهم أو عندها، لأن الزائرين لا يتخذون تلك الروضات قبلة لهم ولا يعبدونهم ولا يجعلونهم شركاء فى العبادة، بل كلهم مؤمنون بالله موحدون له، ويتوجهون- فى صلواتهم- إلى الكعبة المقدسة، والهدف من بناء المسجد عند تلك الروضات هو التبرك بالأرض التى احتضنت أجسادهم الطاهرة.

فالمهم هو أن يثبت لنا أن هدف هذه الأحاديث من عدم اتخاذ القبور مساجد هو ما ذكرناه، وإليك القرائن الدالة على ذلك:

١- الحديث المذكور فى صحيح مسلم يوضح الأحاديث الأخرى ، فحينما قالت السيدتان أم حبيبة وأم سلمة رضى الله عنهما- زوجتا النبى ﷺ وآله- بأنهما رأتا تصاوير النبى فى إحدى كنائس الحبشة، قال النبى ﷺ: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك التصاوير).

فالهدف من وضع صور الصالحين بجوار قبورهم؛ إنما كان لأجل السجود عليها وعلى القبر، بحيث يكون القبر والصورة قبلة لهم، أو كانتا كالصنم المنصوب يُعبدان ويُسجد لهما.

إن هذا الاحتمال- اللائح من هذا الحديث- ينطبق مع ما عليه النصارى من عبادة المسيح ووضع التصاوير والتماثيل المجسمة له وللسيدة مريم- عليهما السلام-.

قال النبى ﷺ أيضاً فى الذين يتخذون من القبور مساجد: (أولئك شرار الخلق)، وثبت بالكتاب أن أمته ﷺ خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وأن الله متخذهم شهوداً على الأمم السابقة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وثبت بالسنة أن الأنبياء والمرسلين تمنوا أن يكونوا من أمته ﷺ، وأن أمته ﷺ لا تجتمع على ضلالة.

وقد علم الله تعالى فى سابق علمه بقضائه وقدره فى

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

أزله أن هذه الأمة ستتفق ويجمع أولها وآخرها على بناء المساجد على روضة نبيها أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى روضات الأولياء والصالحين، بل ومن هؤلاء الأولياء من يتخذ المساجد على من قبله من شيوخه، ويزوره فى حالة بناء المساجد والقباب عليهم، ويشد الرحال من بلاد بعيدة لزيارتهم، وقد شد الإمام النووى الرحال من الشام إلى مصر لزيارة روضة الإمام الشافعى الذى عليه مسجد وقبة. وكم لاتخاذ المساجد على المشاهد من ألف نظير فى المشرق والمغرب.. فهل هناك تناقض بين خبر الله تعالى وخبر الرسول ﷺ وأن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس؛ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفى الوقت ذاته تكون أمة ملعونة باتخاذها المسجد على روضة نبيها ﷺ وعلى روضات الأولياء والصالحين.. وهذا أمر محال؟!.

ومع هذا المعنى فلا يمكن الاستدلال بهذه الأحاديث على حرمة بناء المسجد على روضات الصالحين أو

بجوارها من دون أن يكون فى ذلــك أى شــئ يــوحى بالعبودية، كما عليه النصارى.

٢- يروى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والإمــام مالك بن أنس فى الموطأ تتمة لهــذا الحــديث، وهــو أن النبى- ﷺ- قال- بعد النهى عن اتخاذ القبور مساجد-: **(اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد).**

إن هذا يدل على أن أولئــك كــانوا يتخــذون القبــر والصورة التى عليها قبلة يتوجهون إليها، بل وثناً يعبدونه من دون الله تعالى.

٣- إن التأمل فى حديث الــسيدة عائــشة رضــى الله عنها- الحديث الثانى عند البخارى- يزيد فى توضيح هذه الحقيقة، حيث إنها بعد الرواية عن رسول الله ﷺ تقــول: **(لولا ذلك لأبرزوا قبره، غيــر أنــى أخــشى أن يتخــذ مسجدا).**

ونتساءل: إقامة الجدار حول القبر يمنع عن أى شئ؟.

من الثابت أن الجدار يمنع من الــصلاة علــى القبــر

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

نفسه، وأن يتخذ وثناً يعبد، وعلى الأقــل لا يكــون قبلــة يتوجه إليها.

أما الصلاة بجوار القبر- من دون عبادة القبر أو جعله قبلة للعبادة- فلا مانع منها، سواء كان هناك حاجز يحجز القبر عن الرؤية أم لا، وسواء كان القبــر بــارزاً عــن الأرض أم لا، وذلك لأن المسلمين - منذ أربعــة عــشر قرناً - يصلون بجوار روضة رسول الله - ﷺ وآلــه - فى حين أنهم يتوجهون إلى الكعبة ويعبــدون الله تعــالى، فوجود الحاجز لم يمنع من هذا كله.

والخلاصة: أن تتمة الحديث الثانى - التى هــى مــن كلام السيدة عائشة - توضح معنى الحديث، لأنها تــذكر السبب الذى منع من إبراز روضة رســول الله ﷺ وآلــه بأنه للحيلولة دون اتخاذه مــسجداً، ولهــذا أقــيم الجــدار الحاجز حول الروضة الشريفة.

فالحاجز يمنع من شيئين:

١- من أن يتحول القبر إلى وثن يقف الناس بين يديه

يعبدونه، فمع وجود الحاجز لا يمكن رؤية القبر فلا يمكن اتخاذه وثناً للعبادة.

٢- من أن يتخذ قبلة، ذلك لأن اتخاذه قبلة فرع من رؤيته.

فإن قال قائل: إن الكعبة قبلة للمسلمين في حين أن أكثر المسلمين لا يرونها وقت العبادة.

فالجواب: لا تصح المقارنة والمقايسة بين الكعبة والقبر، لأن الكعبة قبلة عامة وعالمية لجميع المسلمين فى كافة أرجاء الكرة الأرضية، وليست قبلة للعبادة فقط، بل للعبادة وغيرها كالذبيحة والدفن وما شابه، فهى قبلة فى جميع الأحوال، ولا علاقة للرؤية فيها بأى وجه، أو بمعنى أدق: الكعبة وجهة لا جهة.

أما اتخاذ روضة النبى ﷺ وآله قبلة، فإنما يمكن للذين يتواجدون فى مسجده ويقيمون الصلاة منه، فإبراز الروضة الشريفة يمهد لهذا الاحتمال – على رأى السيدة عائشة طبعاً – بينما مساواته مع الأرض ليس كذلك.

٣- ومن القرائن الدالة على أن نهى النبى- ﷺ وآله- إنما هو من عبادة القبور هو أن الكثير من شارحى صحيحى البخارى ومسلم فسروا الحديث بمثل ما فسرناه، وفهموا منه مثل ما فهمناه.. فمثلا:

(١) يقول القسطلانى- فى كتاب إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى-:

(إنما صوَّر أوائلهم الصور ليستأنسوا بها ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذر النبى عن مثل ذلك).

إلى أن يقول:

(قال البيضاوى: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون فى الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً، مُنِعَ المسلمون فى مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرك

بالقرب منه- لا للتعظيم ولا للتوجه إليه- فلا يدخل في الوعيد المذكور).

(٢) وقد مال إلى هذا المعنى ابن حجر- في فتح الباري- حيث قال: إن النهى إنما هو عما يؤدى بالقبر إلى ما عليه أهل الكتاب، أما غير ذلك فلا إشكال فيه.

(٣) وليس القسطلانى منفرداً فى هذا الشرح بل يقول به السندى - شارح السنن للنسائى - حيث يقول:

(اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أى: قبلة للصلاة ويصلون إليها، أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها. ولعل وجه الكراهة أنه قد يفضى إلى عبادة نفس القبر.

ويقول أيضاً:

(يحذر (النبى) أمته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد، إما بالسجود إليها تعظيماً لها، أو بجعلها قبلة يتوجهون فى الصلاة إليها).

(٤) ويقول النووى - فى شرح صحيح مسلم-:

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

(قال العلماء: إنما نهى النبى عن اتخاذ قبره وقبر غير مسجداً، خوفاً من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولمَّا احتاجت الصحابة والتابعون إلى زيادة فى مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة، مدفن رسول الله - ﷺ - وصاحبيه بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام.. ولهذا قالت (عائشة) فى الحديث: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنه خُشى أن يتخذ مسجداً).

(٥) ويقول شارح آخر:

(إن حديث عائشة يرتبط بالمسجد النبوى قبل الزيادة فيه، أما بعد الزيادة وإدخال حجرتها فيه، فقد بنوا الحجرة بشكل مثلث كى لا يتمكن أحد من الصلاة على القبر.. إن اليهود والنصارى كانوا يعبدون أنبياءهم بجوار قبورهم أو يجعلونهم شركاء فى العبادة).

نقول: مع هذه القرائن ومع ما فهمه شُرَّاح الحديث لا بد من القول به، ولا يمكن استنتاج غير ذلك أو الفتوى بغيره.

ومع غض النظر عن هذه القرائن، فإننا نعالج المسألة بما يلى:

أولاً: إن مورد الحديث هو ما إذا كان المسجد مبنياً فوق القبر، فلا علاقة له بالمشاهد المشرَّفة، لأن المسجد – فى كل المشاهد – إنما هو بجوارها لا عليها، بشكل ينفصل أحدهما عن الآخر.

وبعبارة أخرى: هناك حرم أو مقصورة وهناك مسجد، فالحرم خاص للزيارة والتوسل إلى الله تعالى بذلك الولى الصالح، والمسجد– بجواره– للصلاة والعبادة، فالمشاهد المشرفة– فى هذه الحالة– خارجة عن مفاد الحديث ومعناه – على فرض أن يكون مفاده ما يدعيه الوهابيون–.

وبعد هذا كله.. كيف يمكن القول بحرمة بناء المسجد

بجوار القبر أو كراهته فى حين أننا نرى بأعيننا أن مسجد رسول الله ﷺ وآله يقع بجوار روضته الشريفة، والوهابيون يؤمُّون الناس فى المسجد النبوى للصلاة!.

إذا كانت الصحابة كالنجوم ويجب الاقتداء بهم، فلماذا لا يُقتدى بهم فى هذا المجال؟! إن أولئك زادوا فى المسجد زيادات كثيرة بحيث استقر روض النبى ﷺ وآله فى وسط المسجد، بعد أن كان المسجد فى الجانب الشرقى من الروضة الشريفة، وبسبب الزيادات الكثيرة دخل الجانب الغربى من المرقد أيضاً فى المسجد.

فإذا كان بناء المسجد بجوار روضات الصالحين حراماً، فلماذا أحدث المسلمون هذه الزيادات فيه من جميع أطرافه؟!

فهل معنى الاقتداء بـ (السلف) و (السلفية)– التى ينادى بها الوهابيون – هو الاقتداء بهم فى موضوع واحد وترك الموارد الأخرى؟!

ومن هنا نعرف أن ما قاله ابن القيم من (أن القبر

والمسجد لا يجتمعان معاً) مخالف لسيرة المسلمين السلف، ولا أساس لكلامه من الصحة أبداً.

والدليل على ذلك أنه جاء فى عدة أحاديث وآثار أن جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون فى المسجد الحرام ما بين زمزم والمقام، وأخبر النبى ﷺ أن منهم نوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً، وأن قبورهم بين زمزم والحطيم والحجر، وكذلك ورد فى قبر إسماعيل وأمه هاجر أنه بالمسجد الحرام وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النبى ﷺ، فلو كان وجود القبر فى المسجد محرماً لذاته لنبش النبى ﷺ وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد، فإنه أخبر ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنهم أحياء فى روضاتهم، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشهداء وأمرنا بألا نسميهم أمواتاً فنكون كاذبين فى ذلك، وحيث لم يفعل النبى ﷺ ذلك، دل على أن وجود القبر فى المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرماً لذاته، وإنما ذلك لعلته التى بانتفائها ينتفى حكمها.

D:\كتب\الوهابية\٢٤doc.

وبناء على ما تقدم: فإن أفضل المساجد على وجه الأرض المسجد الحرام والمسجد النبوى وهما الحرمان الشريفان، وقد شاء الله وحكم أن يكون فى كل منها روضات متعددة، ففى البيت الحرام روضات جماعة من الأنبياء، وفى مسجد النبى الشريف روضة النبى ﷺ وروضة صاحبيه رضى الله عنهما، ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السلام حين نزوله كما ورد فى بعض الأخبار، من أجل هذا فإن الدفن فى المسجد أو اتخاذ المسجد على القبر من الأعمال الصالحة تأسياً بالحرمين الشريفين، فكل مسجد ليس فيه روضة لنبى أو ولى فهو ناقص الفضل، قليل البركة، عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها المسجد الحرام والمسجد النبوى.

مسجد يبنى على أبى بصير رضي الله عنه:

وإليك أيها القارئ الكريم هذا الدليل الدامغ على صواب ما نقول وخطأ الوهابية، وهو إجماع الصحابة على اتخاذ مسجد على قبر الصحابى أبى بصير عتبة ابن

أسيد فى عهد النبى ﷺ وآله:

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد صلح الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد، وكان ممن حبس بمكة من المسلمين، فلما قدم على رسول الله ﷺ، كتب فيه أزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شريق بن عمرو إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهما فقدما على رسول الله ﷺ، بكتاب الأزهر والأخنس، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك).

قال: يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ قال: (يا أبا بصير، انطلق، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً) فانطلق أبو بصير معهما، حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك

D:\كتب\الوهابية\٢٤.doc

هذا يا أخا بنى عامر؟ فقال: نعم، قال: ءأنظر إليه؟ قال: انظر إن شئت، قال: فاستله أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وفر المولى سريعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا الرجل قد رأى فزعا) فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: (ويحك! مالك؟) قال: قتل صاحبكم صاحبى، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتنى بيد القوم، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى. قال: فقال رسول الله ﷺ: (ويل أُمِّه مُسَعِّر حرب لو كان معه رجال). ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة ومن بينهم أبو جندل بن سهيل، قولُ رسول الله ﷺ لأبى بصير، (ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال)، فخرجوا ومعهم أبو جندل إلى

أبى بصير بالعيص فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا، وكانوا قد ضيقوا على قريش: لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير لقريش إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يؤوى هؤلاء إليه فلا حاجة بهم، فكتب رسول الله ﷺ إلى أبى بصير أن أقدم علينا أنت ومن معك، فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ كان أبو بصير مريضاً، فأخذ الكتاب أبو جندل وبينما هو يقرأ فاضت روح أبى بصير إلى ربها، فقام أبو جندل ومن معه بتجهيزه والصلاة عليه، ثم بنى أبو جندل على قبره مسجداً.

(راجع أُسد الغابة لابن الأثير المجلد الخامس ص ٣٥، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر جـ٦ ص ٤٣٥)، وجاء فى السيرة الحلبية والسيرة الشامية وتاريخ الإسلام للذهبى (فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً).

فمن كل ما تقدم يتضح أن الصحابة وعلى رأسهم أبو

جندل بن سهيل بن عمرو اتخذوا على قبر أبى بصير مسجداً فى حياة النبى ﷺ، ولم يأمرهم بهدمه، بل أقرهم على ذلك، ويستحيل أن يقر النبى ﷺ على باطل.

أيها الوهابيون: إن من يعرف سيرة الصحابة مع الرسول ﷺ يعلم أنه لا يمكن إحداث أمر عظيم مثل هذا – وهو اتخاذ مسجد على قبر أبى بصير – ولا يذكرونه للنبى ﷺ وهو رسول الله ﷺ، وخليفته فى خلقه، والأمر أمره، والحكم حكمه، والصحابة كلهم جنده ونوابه ومنفذوا أمره، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من أصحابه الذين هم تحت حكمه وأمره ويكون ذلك حراماً ملعوناً فاعله يجر إلى كفر وضلال ثم لا يُعْلِمه الله تعالى به، ولا يوحى إليه فى شأنه، كما أعلمه بمسجد الضرار وقصد أصحابه من بنائه، وأمر ﷺ بهدمه، فإذن لا شك أن النبى ﷺ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبى بصير ولم يأمرهم بهدمه، إذ لو أمر بذلك لنقل فى نفس الخبر أو غيره، لأنه شرع لا يمكن أن يضيع بل يستحيل ذلك،

لخبر الله تعالى أنه حفظ الدين من أن يضيع منه شيء، ولا يصل إلى آخر هذه الأمة ما وصل إلى أولها، فلما لم يأمر بهدمه دل ذلك على جوازه.

ثانياً: إن كل ما يستفاد من هذه الأحاديث – على فرض صحتها– هو أن النبى ﷺ نهى عن بناء المسجد على روضات الصالحين أو بجوارها، ولكن لا يوجد دليل قطعى يثبت أن هذا النهى هو نهى تحريمى، بل يحتمل أن يكون نهياً تنزيهياً– وبالاصطلاح – كراهياً، وهذا بالضبط ما استنبطه البخارى فى صحيحه حيث ذكر هذه الأحاديث تحت عنوان: (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور).

ويشهد لذلك أيضاً أن النهى مقرون بلعن (زائرات القبور) فى حديث النسائى.

ومن الثابت أن زيارة القبر للمرأة مكروه – بسبب بعض الأمور – لا حرام.

فإذا كان النبى ﷺ وآله يلعن زائرات القبور، فلا يدل

اللعن على الحرمة، لأن كثيراً من المكروهات ورد اللعن على مرتكبها فى الأحاديث، والهدف من اللعن هو شدة الكراهية والبعد عن رحمة الله تعالى، فمثلا جاء فى الحديث: (لعن الله ثلاثة: آكل زاده وحده، والنائم فى بيت وحده، وراكب الفلاة وحده).. مع العلم أن هذه الثلاثة ليست محرمة.

وفى ختام هذا الفصل نؤكد على أن بناء المساجد على روضات الصالحين كانت سنة رائجة فى صدر الإسلام.

يقول السمهودى– فى وفاء الوفا– فى حديث ذكر فيه وفاة السيدة فاطمة بنت أسد أم الإمام أمير المؤمنين على– عليه السلام–: (فلما توفيت خرج رسول الله ﷺ فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم: قبر فاطمة).

ويقصد السمهودى أن موضع قبر فاطمة بنت أسد تحوّل بعد ذلك إلى مسجد، ويقول أيضاً:

(إن مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة).

وقد كان ذلك المسجد موجوداً حتى احتلال الوهابيين لهذه البقاع المقدسة، حيث عمدوا إلى هذا المسجد – ومساجد وآثار كثيرة – فهدموها بمعاول الاستعمار البريطانى الأثيم.

وختاماً:

من ذلك كله يعلم أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها لاحقاً وسابقاً راجح إذا كان على روضة نبى أو ولى أو عالم أو عابد أو صالح وغيرهم، ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله تعالى. وهذا الوجه مما يهدم كل أساس بنى عليه الوهابية شبهاتهم ولا يرتاب فيه إلا مكابر معاند، فإنك إذا أحطت علماً بما سردناه فى هذا الفصل والفصل السابق من جواز بناء الحجرة الشريفة النبوية وما بنى على روضات الصالحين من الصحابة والأئمة والأولياء والصلحاء، علمت أن المسلمين عموماً– من الصدر الأول إلى اليوم من جميع النحل والمذاهب الإسلامية– متفقون على جواز البناء على القبور وعقد

القباب عليها، عدا الوهابية، فإنهم مخالفون لما عليه الأمة الإسلامية جمعاء ولمذهب السلف الصالح الذين يتغنون دائماً بأنهم متبعون له – كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا – حيث اتفق الصحابة جميعاً ومنهم الخلفاء الأربعة على دفنه ﷺ فى بيته وحجرته التى كان يسكنها مع زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وهى مبنية مسقفة، ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفى على الصحابة عموماً، ولو حرم ابتداء لحرم استدامة، ثم دفن أبو بكر وعمر مع النبى ﷺ فى تلك الحجرة، وعد ذلك أعظم منقبة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وتتابع ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وملوك الإسلام وأمراؤهم فى بناء الحجرة الشريفة، والقبة المنيفة، جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، وخلفاً عن السلف، متقربين بذلك إلى الله راجين ثوابه، ولم يسمع من أحد أنه لامهم على هذا الفعل، أو خطأهم فيه أو منعهم

منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملوك والأمراء، وليس ترك ذلك شيئاً مخلاً بسلطتهم وسياستهم للملك حتى يخافهم العلماء فيه، بل هو أمر دينى محض لا يخالفهم فيه ملك ولا أمير. ولا يخرج قصد الملوك والأمراء فى ذلك عن أحد أمرين:

طلب الثواب منه تعالى، والفخر عند الناس، كل ذلك لا يتم لهم مع نهى العلماء عنه وتحريمه، فإذا كان هذا الأمر الذى اتفق عليه الصحابة من صدر الإسلام والتابعون وتابعوا التابعين وعلماء المسلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، قطعياً وجماعياً، ففى أى حكم فى الشريعة يمكن دعوى القطع والإجماع؟ وإذا لم يكن السلف قدوة فى مثل هذا ففى أى شىء يقتدى بهم؟!.

وإلى الجزء الثانى من كتاب (موحدون لا قبوريون) لنواصل الحديث عن:

١- زيارة روضات الأنبياء والأولياء.

٢- التوسل بالأنبياء والأولياء.

٣- الحلف بحق الأنبياء والأولياء.

٤- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم.